الباب الثالث

الداعى

تمهيد:

الداعى: هو المكلف شرعاً بالدعوة إلى الله تعالى، ويحسن بنا هنا أن نعرف به ونوضح أدلة تكليفه، ولكى يقوم الداعى بهذا التكليف الربانى فإنه يحتاج إلى عدة تعينه على أداء هذا التكليف الشرعى، وتسهل له هذه المهمة الجسيمة، كما يجب عليه أن يتحلى بالأخلاق الإسلامية التى تعينه على تبليغ دين الله تعالى على أكمل وجه، وبناء على ما تقدم يمكن تقسيم هذا الباب إلى الفصول الآتية:

الفصل الأول: التعريف بالداعى.

الفصل الثانى: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

الفصل الثالث: عدة الداعى.

الفصل الرابع: أخلاق الداعى.

الفصل الأول

التعريف بالداعى

الداعى الأول:

يقول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥ ، ٤٦)

أخرج ابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس قال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾

وقد كان أمر علياً ومعاذاً أن يسيرا إلى اليمن، فقال: انطلقا فبشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسر، وتطاوعا[1] فإنها قد أنزلت على

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾

قال: شاهدا على أمتك ومبشراً بالجنة، ونذيرا من النار، وداعياً إلى شهادة أن لا إله إلا الله

---

(١) متفق عليه، وانظر صحيح البخارى ج ٥ ص ١١٠ ومسند الإمام أحمد ج ١ ص ٢١٤ وطبقات ابن سعد، وسيرة ابن هشام.

﴿ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾

بالقرآن[1].

روى أحمد فى «المسند» والبخارى فى «صحيحه» وغيرهما عن عطاء بن يسار ـ رضى الله عنه ـ قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، قلت: أخبرنى عن صفة رسول الله ـ ﷺ ـ فى التوارة؟ قال: أجل، والله إنه لموصوف ببعض صفته فى القرآن:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾

وحرزاً للأميين، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل، ليس بفظ، ولاغليظ، ولاسخّاب فى الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صمّاً، وقلوباً غلفاً»[2].

فالداعى الأول إلى الله تعالى ـ بعد أن أنعم الله علينا بالإسلام ـ هو رسولنا الكريم محمد ﷺ.

وقد كرر القرآن الكريم الخطاب إلى الرسول الكريم ـ ﷺ ـ يأمره بالدعوة إلى الله والاستمرار عليها وعدم التحول عنها، فمن هذه الآيات الكريمة قوله تعالى: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾[3]

وقوله تعالى:

---

(١) راجع فتح القدير للشوكانى ج ٤ ص ٣٨٩.

(٢) راجع: زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ج ٦ ص ٤٠٠ وفتح القدير ج ٤ ص ٣٨٩.

(٣) سورة الحج، الآية: ٦٧.

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾[1]

وقد ظل النبى ـ ﷺ ـ يدعو إلى ربه ـ تبارك وتعالى ـ حتى أتاه اليقين من ربه، وصار إلى جواره الكريم راضياً، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء[2].

الدعوة إلى الله تعالى وظيفة الرسل جميعاً صلوات الله عليهم أجمعين:

لقد جاءت دعوة الرسل الكرام إلى توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبادة، والنهى عن الشرك فى كثير من آيات القرآن الكريم، جاء الإخبار بهذه الدعوة على سبيل الإجمال عن جميع رسل الله ـ صلى الله عليهم وسلم أجمعين ـ أنهم قاموا بدعوة أممهم إلى ذلك.

يقول الله ـ سبحانه ـ فى شأن دعوة الرسل جميعاً أممهم إلى عبادة الله سبحانه، وحده وتحذيرهم من الإشراك به سبحانه.

قال جل شأنه:

﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾[3]

وقال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[4]

---

(١) سورة الرعد ، الآية: ٣٦.

(٢) راجع أصول الدعوة ص ٣٠٧ ، د. عبد الكريم زيدان. مؤسسة الرسالة ط ٢ سنة ١٤٠٧ هـ.

(٣) سورة النحل الآية: ٢.

(٤) سورة النحل ، الآية: ٣٦.

وقوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[1]

تأمل فى هذه الآيات كيف يخبر الحق ـ تبارك وتعالى ـ عن المهمة التى بعث لأجلها الرسل، وأنها قاصرة على دعوة النّاس إلى إفراد الله سبحانه: الذى لا إله إلا هو بالعبادة، والكف عن عبادة ماسواه سبحانه.

وهذا الأمر يبرز فى صور متعددة تتضافر كلها على مدلول واحد هو حصر العبادة وجعلها قاصرة لله سبحانه دون من سواه[2].

فتارة يأتى فى صورة الأمر بعبادة الله تعالى (أن اعبدوا الله) ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يأتى الأمر باجتناب عبادة ماسواه سبحانه؛ لبيان أن العبادة لا ينبغى صرفها لغير الله:

﴿ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾.[3]

وجاءت الدعوة إلى عبادة الله وحده، ونبذ الشرك على لسان مؤمن آل فرعون فى موعظته التى توجه بها إلى قومه، وذلك فيما حكى الله سبحانه عنه بقوله:

﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ ﴾[4]

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية: ٢٥.

(٢) راجع: معالم الدعوة فى قصص القرآن ج ١ ص ٦٥.

(٣) سورة النحل ، الآية: ٣٦.

(٤) سورة غافر: ٤١ ، ٤٢.

يناديهم نداء المشفق عليهم، المستنكر غفلتهم وتماديهم فى الضلال، وإعراضهم عمن يريد لهم النجاة من عذاب الله سبحانه بالإقلاع عما هم فيه من الإشراك بالله العزيز الغفار، فهم إن أعرضوا عن الله، فإنما يضرون بذلك أنفسهم، فالله سبحانه هو العزيز: ذو العزة والقهر والغلبة، الذى لا يفلت من قبضته ومشيئته شيء، وهو الغنى عن عبادتهم، بل وعن كل شيء. وإن أقلعوا عما هم فيه من الشرك وآبو إليه فهو الغفار: الذى يتجاوز عمن أساء، ويتوب على من تاب.

وفى قوله:

﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ ﴾

دليل على دعوتهم له بالتخلى عن عبادة الله سبحانه، وحده وموافقتهم على ما هم فيه من الشرك بالله سبحانه.

وفى قوله:

﴿ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ ﴾

دليل على دعوته إياهم إلى أن يوحدوا الله سبحانه فى العبادة، ذلك أن عبادة الله وحده هى الطريق المؤدية إلى النجاة من عذاب الله

﴿ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ ﴾

أما الشرك بالله فمآله إلى حلول سخط الله وعذابه الأليم

﴿ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ ﴾[1]

ويستفاد من النصوص القرآنية التى حكت دعوة الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام

---

(١) راجع فتح القدير للشوكانى ج ٤ ص ٤٩٤.

ـ أممهم إلى توحيد الله سبحانه، أنهم كانوا يدعونهم إلى توحيد الله وطاعته وتقواه، وأن من استجاب لهم وشهد شهادة الحق، وأقام شرائع الله فهو مسلم.

والرسول ـ ﷺ ـ قد دعا إلى النطق بالشهادتين، وبذلك أمر أصحابه كما فى الحديث الصحيح حينما بعث معاذ بن جبل إلى أهل اليمن فقال له: «إنك تأتى قوماً أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى اليوم والليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد فى فقرائهم»[1].

وكذلك سائر الأحاديث عن النبى ـ ﷺ ـ موافقة لهذا، كما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة وابن عمر: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[2].

وفى حديث ابن عمر: «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة»[3].

---

(١) رواه البخارى: كتاب الزكاة: ٢ / ١٣٠ ، ١٤٧ ومسلم ، كتاب الإيمان: ١/ ٥٠ ، ٥١ وأبو داود: كتاب الزكاة: ٢ / ١٠٤ ، ١٠٥ والنسائى: كتاب الزكاة ، ٢/٥ / ٤ ، ٥٥ وابن ماجه: ١/ ١٦٨ ، والدارمى: ١/ ٣٧٩ ، وأحمد: ١ / ٢٣٣.

(٢) البخارى: كتاب الإيمان: ١٣/١ من رواية ابن عمر ، وكتاب الزكاة: ١٣١/٢ ، والجهاد: ٥٨/٤ والاستتابة: ١٩/٩ من رواية أبى هريرة ، ومسلم: كتاب الإيمان: ١/ ٥١ ـ ٥٣ من رواية أبى هريرة وجابر بن عبد الله وابن عمر، والترمذى كتاب الإيمان: ٣/٥ ، ٤ من رواية أبى هريرة وأنس، وكتاب التفسير: ٤٣٩/٥ من رواية جابر بن عبد الله. وأبو داود: كتاب الزكاة ٢ / ٩٣ من رواية أبى هريرة ، والنسائى: كتاب الزكاة ١٤/٥ من رواية أبى هريرة ، وكتاب الجهاد: ٥/٦ ـ ٧.

(٣) البخارى: كتاب الإيمان: ١٣/١ من رواية ابن عمر ، وكتاب الزكاة: ١٣١/٢ ، والجهاد: ٥٨/٤ والاستتابة: ١٩/٩ من رواية أبى هريرة ، ومسلم: كتاب الإيمان: ١/ ٥١ ـ ٥٣ من رواية أبى هريرة وجابر بن عبد الله وابن عمر، والترمذى كتاب الإيمان: ٣/٥ ، ٤ من رواية أبى هريرة وأنس، وكتاب التفسير: ٤٣٩/٥ من رواية جابر بن عبد الله. وأبو داود: كتاب الزكاة ٢ / ٩٣ من رواية أبى هريرة ، والنسائى: كتاب الزكاة ١٤/٥ من رواية أبى هريرة ، وكتاب الجهاد: ٥/٦ ـ ٧.

وهذا مما اتفق عليه أئمة الدين، وعلماء المسلمين، فإنهم مجمعون على ما علم بالاضطرار من دين الرسول، أن كل كافر فإنه يدعى إلى الشهادتين سواء كان معطلاً أو مشركاً أو كتابيّـاً، وبذلك يصير الكافر مسلماً، ولا يصير مسلماً بدون ذلك[1].

الأمة الإسلامية مكلفة بالدعوة إلى الله اتباعا لرسولها ﷺ:

تبين لنا مما تقدم أن الداعى الأول إلى الله تعالى هو الرسول الكريم ـ ﷺ ـ واستشهدنا على ذلك ببعض الآيات التى جاء فيها الأمر صريحاً للنبى ـ ﷺ ـ بالدعوة إلى الله، وهذه الآيات يدخل فيها المسلمون جميعاً؛ لأن الأصل فى خطاب الله لرسوله ـ ﷺ ـ دخول أمته فيه إلا ما استثنى، وليس من هذا المستثنى أمر الله تبارك وتعالى بالدعوة إليه.

ومعنى ذلك أن الله تعالى أكرم هذه الأمة الإسلامية وشرفها أن أشركها مع رسوله الكريم فى وظيفة الدعوة إليه، وهذا التشريف لا يستفاد فقط من الخطابات الإلهية لرسوله بالدعوة إليه، وإنما هو صريح الآيات الكثيرة فى القرآن، من هذه الآيات قول الحق ـ جل شأنه ـ:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[2]

قوله تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

سبب نزولها أن مالك بن الضيف ووهب بن يهوذا اليهوديين، قالا لابن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة، وأبى بن كعب، ومعاذ بن جبل: ديننا خير مما تدعونا إليه، ونحن أفضل منكم، فنزلت هذه الآية، هذا قول عكرمة ومقاتل.[3] وفيمن أريد

---

(١) راجع: درء تعارض العقل والنقل: لابن تيمية ٨/ ٦، ٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٣) راجع زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ج ١ ص ٤٣٨ ـ ٤٤٠.

بهذه الآية أربعة أقوال:

أحدها: أنهم أهل بدر، والثانى: أنهم المهاجرون[1]، والثالث: جميع الصحابة، والرابع: جميع أمة محمد ـ ﷺ ـ نقلت هذه الأقوال كلها عن ابن عباس.

وقد روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال:

«إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها، وأكرمها على الله تعالى».[2]

قال الزجاج: وأصل الخطاب لأصحاب النبى ـ ﷺ ـ وهو يعم سائر أمته.

قال الحافظ ابن كثير[3] بعدما ساق الأحاديث الثابتة فى فضل أمة محمد ﷺ: فهذه الآيات فى معنى قوله تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم فى هذا المدح، ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله:

﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[4].

وفى قوله تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

---

(١) رواه أحمد ، والنسائى ، والحاكم بإسناد جيد عن ابن عباس. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى.

(٢) قال الحافظ ابن حجر فى الفتح: حديث حسن صحيح، أخرجه الترمذى وحسنه، وابن ماجه والحاكم، وصححه ، وله شاهد مرسل عن قتادة عند الطبرى رجاله ثقات.

(٣) راجع تفسير ابن كثير ج ١ عند تفسير الآية فى سورة آل عمران.

(٤) سورة المائدة: ٧٩.

قولان:

أحدهما: أن معناه: كنتم خير النّـاس للنّـاس. قال أبو هريرة: يأتون بهم فى السلاسل حتى يدخلوهم فى الإسلام[1].

والثانى: أن معناه: كنتم خير الأمم التى أخرجت.

وفى قوله تعالى:

﴿ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾

قولان:

أحدهما: أنه شرط فى الخيرية، وهذا المعنى مروى عن عمر بن الخطاب ومجاهد والزجاج.

والثانى: أنه ثناء من الله عليهم، قاله الربيع بن أنس. قال أبو العالية:

والمعروف: التوحيد ـ والمنكر: الشرك. قال ابن عباس: وأهل الكتاب: اليهود والنصارى[2].

وخلاصة القول فى هذه الآية الكريمة أنها أفادت معنيين: الأول خيرية هذه الأمة، والثانى: أنها حازت هذه الخيرية لقيامها بوظيفة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهى وظيفة رسول الله ورسل الله جميعاً، وأول ما يدخل فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، الدعوة إلى الله وحده، والبراءة من الشرك بأنواعه. بل إن القرآن

---

(١) أخرجه البخارى ج٨ ص١٦٩ موقوفاً وهى فى حكم المرفوع؛ لأنه فى معنى الحديث المرفوع الذى رواه البخارى: «عجب الله عز وجل من قوم يدخلون الجنة فى السلاسل».

(٢) انظر زاد المسير ج ١ ص ٤٤٠.

الكريم جعل من صفات المؤمنين الدعوة إلى الله، بخلاف المنافقين الذين يصدون عن سبيل الله ويدعون إلى غيره، قال تعالى:

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾[1]

ثم قال تعالى بعد ذلك:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[2].

قال الإمام القرطبى فى بيان هذه الآية الكريمة: «فجعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرقاً بين المؤمنين والمنافقين، فدل على أن أخص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ورأسها الدعاء إلى الإسلام»[3].

من هو المكلف بالدعوة إلى الله تعالى:

من خلال النصوص القرآنية المتقدمة يظهر لنا: أن المكلف بالدعوة إلى الله تعالى هو كل مسلم ومسلمة؛ لأن الأمة الإسلامية تتكون منهم، فكل بالغ عاقل من الأمة الإسلامية ـ وهى المكلفة بالدعوة إلى الله ـ مكلف بهذا الواجب ـ ذكراً كان أو أنثى ـ فلا يختص العلماء ـ أو كما يسميهم البعض رجال الدين ـ بأصل هذا الواجب، لأنه واجب على الجميع، وإنما يختص العلماء بتبليغ تفاصيله وأحكامه ومعانيه نظرا لسعة علمهم به، ومعرفتهم بجزئياته[4].

---

(١) سورة التوبة ، الآية: ٦٧.

(٢) سورة التوبة ، الآية: ٧١.

(٣) انظر تفسير القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن ج ٤ ص ٤٧.

(٤) راجع: أصول الدعوة ص ٣٠٩.

ومما يوضح هذا الأمر ـ وهو أن المكلف بالدعوة إلى الله تعالى هو كل مسلم ومسلمة ـ قول الحق ـ عز وجل ـ:

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[1]

وقد فسرت البصيرة فى هذه الآية الكريمة بتفسيرين:

الأول: المراد بالبصيرة البرهان العقلى والشرعى[2].

والثانى: المعرفة والتحقيق[3].

والآمر بالمعروف والناهى عن المنكر: موقع عن الله سبحانه؛ لأنه يقول: هذا معروف وهذا منكر، وهذا حلال وهذا حرام، والإنسان إنما يصدر فى مثل هذه الأحكام عن شرع الله، فلابد إذاً من علم، قال ابن كثير ـ عند قوله تعالى ـ:

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾[4]

ما لفظه: «ويدخل فى هذا كل من ابتدع بدعة، وليس له فيها مستند شرعى، أو حلل شيئاً مما حرم الله، أو حرم شيئاً مما أباح الله، بمجرد رأيه وتشهيه»[5].

فأتباع الرسول ـ ﷺ ـ المؤمنون به يدعون إلى الله على بصيرة، أى: علم اليقين، كما كان رسولهم ـ ﷺ ـ يدعو إلى الله على بصيرة ويقين. ومعنى ذلك

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، الآية: ١٠٨.

(٢) تفسير ابن كثير ج٢ ص ٤٩٦.

(٣) مفردات الراغب الأصفهانى ص ٤٩.

(٤) سورة النحل ، الآية: ١١٦.

(٥) راجع تفسير ابن كثير ج٢ ص ٥٩٠.

ان من اللوازم الضرورية لإيمان المسلم أن يدعو إلى الله تعالى.

فإذا تخلف المسلم عن الدعوة إلى الله دل تخلفه هذا على وجود نقص فى إيمانه يجب تداركه بالقيام بهذا الواجب؛ واجب الدعوة إلى الله.

يقول الإمام ابن كثير: فى تفسير الآية الكريمة:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ (١)

«يقول الله تعالى لرسوله ـ ﷺ ـ أن يخبر الناس أن هذه سبيله، أى: طريقته ومسلكه وسنته، وهى الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة ويقين وبرهان عقلى وشرعى»(٢).

وفى الحديث الشريف الذى رواه الإمام البخارى عن ابن عباس أن النبى ـ ﷺ ـ قال: «فليبلغ العلم الشاهد الغائب»(٣) ويدخل فى معنى الشاهد كل مسلم علم من أمر الإسلام شيئاً.

قال تعالى:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (٤).

هذه الآية الكريمة تدل على وجوب الدعوة إلى الله تعالى على كل مسلم ومسلمة، وهذا الواجب يؤدى على نحوين، الأول: نحو فردى بأن يقوم به المسلم

---

(١) سورة يوسف: ١٠٨.

(٢) راجع تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٩٥ ، ٤٩٦.

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ج ١ ص ٦٢ ، ٦٣.

(٤) سورة آل عمران ، الآية: ١٠٤.

بصفته فرداً مسلماً، والثانى: يؤدى هذا الواجب أو جانباً منه بصفته فرداً فى جماعة تدعو إلى الله تعالى.

يقول الإمام ابن كثير فى بيان هذه الآية الكريمة: «والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1].

وتجمع الدعاة للقيام بواجب الدعوة بصورة جماعية، يكون ضرورياً كلما كانت مهمة الدعوة جسيمة، كما لو أريد نشر الدعوة إلى الله فى المجتمعات الوثنية الجاهلية التى عشش فيها الشيطان وباض وصد أهلها عن سبيل الله، وأركسهم فى حمأة الشرك، كما هو الحال فى كثير من أقطار العالم؛ فإن نشر الدعوة فى مثل هذه الأقطار يحتاج إلى جهود كبيرة ومنظمة لنشر الدعوة إلى الله وتعليمهم أمور الإسلام، مما لا يقوى عليه فرد ولا جهود مبعثرة لبعض الأفراد، ويؤيد ذلك العمل الجماعى لنشر الدعوة ما ورد فى السنة المشرفة من أن النبى ـ ﷺ ـ كان يأمر من يسلم بالتحول إلى دار الهجرة ليضم جهده إلى جهود المسلمين وتوجيهها التوجيه السليم من قبل الرسول ـ ﷺ ـ .

وقد أمر الله تعالى فى محكم كتابه بالتعاون على البر والتقوى، فقال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[2].

تعتبر هذه الآية الكريمة دليلاً على مشروعية التجمع والدعوة الجماعية، بل

---

(١) أخرجه مسلم: حديث رقم (٤٩) وأبو داود برقم (١١٤٠) و (٤٣٤٠)، والترمذى (٢١٧٣) والنسائى ج ٨ ص ١١١، وابن ماجه (٤٠١٣) وأورده النووى فى رياض الصالحين ص ١٢٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢.

ووجوبها إذا كان البر لا يمكن تحصيله بدون ذلك، وقد أشار الإمام أبو حنيفة كما روى عنه ذلك الجصاص: إلى ضرورة التجمع على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتوجيه الجهود الجماعية لتحقيق هذا المقصود[1].

شبهة والرد عليها:

ربما يتوهم بعض الناس أن الدعوة إلى الله تعالى لا تلزمه؛ لأنها واجبة على رجال الدين فقط، وأن هذا الواجب واجب كفائى يجب على العلماء دون سواهم، لا على جميع المؤمنين بدليل قول الحق ـ جل شأنه ـ:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[2].

والرد على الشبهة:

أن تفسير الآية الكريمة كما قال العلامة ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: «والمقصود من الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه»[3].

ويذكر الإمام فخر الدين الرازى أن معنى قوله تعالى: «منكم» فيها قولان؛ أحدهما: أن «من» هاهنا ليست للتبعيض لدليلين؛ الأول: أن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على كل الأمة فى قوله:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[4] الثانى: هو أنه لا مكلف إلا ويجب عليه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، إما بيده

(١) راجع أحكام القرآن، للإمام الجصاص ج ٢ ص ٢٩.

(٢) سورة آل عمران ، الآية: ١٠٤.

(٣) راجع تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٩٥ ، ١٩٦.

(٤) سورة آل عمران ، الآية: ١١٠.

أو بلسانه، أو بقلبه، ويجب على كل أحد دفع الضرر عن النفس، إذا ثبت هذا فنقول: معنى هذه الآية: كونوا أمة دعاة إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، وأما كلمة «من» فهى هنا للتبيين، لا للتبعيض، كقوله تعالى:

﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾[1]

ثم ذكر الرازى القول الثانى وهو أن «من» للتبعيض؛ لأن فى القوم من لا يقدر على الدعوة ولا على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ثم قال عن أصحاب هذا القول: إنَّ هذا التكليف مختص بالعلماء؛ لأن الدعوة إلى الخير مشروطة بالعلم بالخير وبالمعروف وبالمنكر، فثبت أنَّ التكليف متوجه على العلماء لا على الجهال، والعلماء بعض الأمة»[2].

وقد أورد هذين القولين فى تفسير الآية الكريمة كل من الإمام القرطبى[3] والإمام الجصاص[4].

حكم الدعوة إلى الخير:

قال الله ـ عز وجل ـ فى سورة آل عمران يأمر أهل الإيمان:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[5].

---

(١) سورة الحج ، الآية: ٣٠.

(٢) راجع: تفسير الرازى ج ٧ ص ١٧٧ ، ١٧٨.

(٣) انظر: تفسير القرطبى ج ٤ ص ١٦٥.

(٤) انظر: أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٢٩.

(٥) سورة آل عمران ، الآية: ١٠٤.

سياق الآية:

قد وصف الله تعالى فى الآيات السابقة بنى إسرائيل بأنهم قد نبذوا دين الله وراء ظهورهم، كما أنهم يبذلون جهودهم لصد غيرهم عنه، مما جعلهم بمعزل عن الهداية الربانية، غير مستحقين لحب الله تعالى ورحمته، ثم أمر المسلمين بأن يتقوا الله حق تقاته، ولا يموتن إلا وهم مسلمون، وأن يكونوا يداً واحدة فى وجه الباطل، ويعتصموا بحبل الله جميعاً، ولا يتفرقوا فتذهب ريحهم، وهذه الصفات كلها تتصل بحياتهم الداخلية، أما العمل الذى يقومون به خارج المجتمع الإسلامى فنص عليه فى الآية التى بدأنا بها هذا الحديث، وهو أن يدعوا الناس إلى الخير، ويأمروهم بالمعروف، وينهوهم عن المنكر، وبذلك قال المفسرون[1].

يقول الإمام الرازى فى بيان معنى الآية الكريمة: «اعلم أنه تعالى فى الآيات المتقدمة عاب أهل الكتاب على شيئين، أحدهما، أنه عابهم على الكفر.. ثم بعد ذلك عابهم على سعيهم فى إلقاء الغير فى الكفر... فلما انتقل منه إلى مخاطبة المؤمنين أمرهم أولاً بالتقوى والإيمان... ثم أمرهم بالسعى فى إلقاء الغير فى الإيمان والطاعة»[2].

ويقول العلامة الألوسى: «أمرهم سبحانه بتكميل الغير، ثم أمرهم بتكميل النفس ليكونوا هادين مهديين على صد أعدائهم؛ فإنّ ما قص الله تعالى من مآلهم فيما سبق يدل على أنهم ضالون»[3].

المهمة التى شاء الله ـ عز وجل ـ أن يلقى أعباء القيام بها على عواتق الأمة الإسلامية عبرت عنها الآية الكريمة بمصطلحين؛ أحدهما: الدعوة إلى الخير، والآخر: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

---

(١) راجع: كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، للسيد جلال الدين العمرى ص ٤.

(٢) راجع: مفاتيح الغيب للرازى ج ٣ ص ١٩.

(٣) انظر: روح المعانى للألوسى ج ٤ ص ٢٠.

مفهوم الدعوة إلى الخير:

أما الدعوة إلى الخير فإنّ المراد من الخير الذى كلفت الأمة الإسلامية بالدعوة إليه هو دين الله الذى أنزله على محمد ـ ﷺ ـ وما آتاه تبارك وتعالى من العقائد والنظريات وأصول العبادات، ونظام الحياة، ومبادىء السياسة والأخلاق، وهو الخير، وهو الذى فرض الله تعالى على الأمة الإسلامية أن تدعو إليه العالمين، ومقياس الخير والشر عندها هو دين الله وحده، فكل ما فى دين الله هو الخير، وكل مادون ذلك هو الشر، فقد وجدت الأمة الإسلامية فى هذا الكوكب الأرضى لمحاربة الشر والقضاء عليه، وإقامة دين الله وإظهاره على غيره[1].

فالدعوة إلى الخير لا تعنى الدعوة إلى جزء من أجزاء الدين، وأن الأمة الإسلامية لن تتخلى عن واجبها مادامت تنهض بالدعوة إلى دين الله بأسره، فإن قامت بالإصلاح الخلقى أو الانقلاب السياسى فحسب أو وقفت جهودها على تلقين العبادات، أو إصلاح الشئون الاجتماعية لا غير، فلن تؤدى حق الدعوة إلى الخير، ومما لا مجال للشك فيه أن كل عمل من هذه الأعمال عمل دينى وهو لا يخلو من جزء من الخير، ولكن الأمة الإسلامية لم تكلف بالدعوة إلى الخير الجزئى وإنما هى مأمورة بالدعوة إلى الخير بأجمعه، كما يتبين من كثير من آيات القرآن الكريم؛ فقال ـ جل شأنه ـ بعد ذكر إبراهيم وإسحاق ويعقوب ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ:

﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾[2].

أطلقت كلمة (الخيرات) فى الآية الكريمة على الأعمال التى أمر الله تعالى

---

(١) راجع: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ص ٦.

(٢) سورة الأنبياء ، الآية: ٧٣.

رسله وأنبياءه بالقيام بها، ومن الواضح أن أعمال الخير التى كانت توحى إليهم كان نطاقها واسعاً جدا، فكانت تشمل العبادات والأخلاق والمعاملات كلها، وهى التى تسمى الدين والشريعة، ويتبين من ذلك أن كلمة (الخيرات) أطلقت على الشريعة الكاملة التى أنزلها الله على رسله الكرام، وتكون حياتهم نموذجاً حيا ومثلا شاخصا لها.

ويشرح معنى الآية الكريمة العلامة البغوى بقوله: وجعلناهم أئمة «يقتدى بهم فى الخيرات» يهدون بأمرنا «يدعون النّاس إلى ديننا» وأوحينا إليهم فعل الخيرات «يعنى العمل بالشرائع»[1].

وفسر الخازن أيضاً «فعل الخيرات» «بالعمل بالشرائع»[2] ويدل ذلك على أن «الخير» مرادف للشريعة الإلهية، وهذا الخير هو الذى أمر الأنبياء بفعله، وهو الذى كانوا يدعون إليه، وهو الذى رفعهم إلى درجة العبودية الرفيعة فكانوا من العابدين.

ومثل الآية المتقدمة قول الحق ـ جل شأنه ـ:

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾[3].

وهذه الآية الكريمة تتحدث عن اختلاف الشرائع، فكان دين الله فى روحه وأصله دائماً ديناً واحداً لم يتغير قط، ولكن الشرائع اختلفت باختلاف العصور، فكانت الشريعة التى آتاها الله تعالى بنى إسرائيل قد تبدلت بعد بعثة النبى ـ ﷺ ـ الذى نزل بشريعة جديدة، واختلاف الشريعة لا يعنى اختلاف الدين أبداً، والعبودية لله تعالى تقتضى أن يكون الإنسان فى كل عصر مستعدّاً للخضوع للشريعة المتجددة، ومن لا يرضى بالتخلص من الشريعة السابقة بعد نزول أختها الجديدة فهو يكفر بمنزلها سبحانه وتعالى.

---

(١) راجع: معالم التنزيل على هامش الخازن ج ٤ ص ٢٤٥.

(٢) راجع: لباب التأويل فى معانى التنزيل: ج ٤ ص ٢٤٥.

(٣) سورة المائدة: الآية: ٤٨.

معنى الخيرات فى آية المائدة:

والمقصود باستباق الخيرات فى الآية الكريمة: هو العمل بالشريعة التى جاء بها محمد ـ ﷺ ـ فإنَّ النجاة منوطة باتباعها لا غير.

فى بيان هذه الآية الكريمة

﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾[1]

يقول العلامة ابن كثير:

«وهى طاعة الله واتباع شرعه الذى جعله ناسخاً لما قبله، والتصديق بكتابه: القرآن الذى هو آخر كتاب أنزله»[2].

ويقول العلامة الألوسى:

«فسارعوا إلى ما هو خير لكم فى الدارين من العقائد الحقة والأعمال الصالحة المندرجة فى القرآن الكريم»[3].

وقال العلامة نظام الدين القمى النيسابورى:

«يعنى بالخيرات هاهنا ماهو الحق من الاعتقادات والمحقق من التكاليف»[4].

هذه الأقوال كلها تدل على أن استباق الخيرات يعنى المسابقة فى عبادة الله تعالى، وطاعة نبيه ـ ﷺ ـ واتباع أحكام الشريعة.

فقد استوعبت كلمة «الخير» وحدها نظام العقائد والأعمال بحذافيره مما نزل فى

---

(١) سورة المائدة: الآية: ٤٨.

(٢) راجع: تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٦٧.

(٣) روح المعانى للعلامة الألوسى ج ٦ ص ١٠٤.

(٤) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان على هامش ابن جرير ج ٦ ص ١٣٥.

صورة «القرآن الكريم» وذلك هو الخير الذى أمرت الأمة المسلمة بدعوة الناس إليه.

أقوال السلف فى المراد «بالخير».

نقل أبو حيان الأندلسى أقوال التابعين وآراءهم فقال: الخير هو الإسلام، قاله مقاتل، أو العمل بطاعة الله، قاله أبو سليمان الدمشقى، أو الجهاد والإسلام[1].

وفسر العلامة البغوى الخير: بالإسلام،[2] وبه فسر فى الجلالين.

ومن الملاحظ أن الإسلام ليس المراد منه جزءا من أجزائه، أو طاعة الله فى أمر معين من الأمور، بل المقصود به دين الله بأجمعه، وطاعة الله تعالى فى أمور الحياة كلها، وإنما أمرت الأمة الإسلامية بالدعوة إلى هذا الدين الكامل الشامل.

قال العلامة الصاوى فى شرح تفسير الجلالين:

«إنما قصره عليه لأنه رأس الأمور»[3].

وقد فسره شيخ المفسرين الإمام الطبرى بقوله:

«ولتكن منكم أيها المؤمنون أمة، يقول: جماعة، يدعون إلى الخير: يعنى إلى الإسلام وشرائعه التى شرعها الله لعباده»[4].

ويقول أبو حيان:

«الدعاء إلى الخير وهو عام فى التكليف من الأفعال والتروك»[5].

---

(١) راجع: البحر المحيط لأبى حيان ج ٣ ص ٢٠.

(٢) راجع: معالم التنزيل ج ١ ص ٣٣٤.

(٣) حاشية الصاوى على تفسير الجلالين ج ١ ص ١٣٥.

(٤) انظر: جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبرى، ج ٤ ص ٢٤.

(٥) انظر: البحر المحيط ج ٣ ص ٢.

ويقول القاضى البيضاوى:

«الدعاء إلى الخير يعم الدعاء إلى مافيه صلاح دينى ودنيوى»[1].

وبذلك فسر الإمام أبو السعود، والعلامة السيد الألوسى، وهذا الصلاح الدينى والدنيوى الذى كلفت الأمة الإسلامية الدعوة إليه يتضمنه كتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ وأن العقائد والأعمال التى نص عليها وأرشد إليها كتاب الله وسنة رسوله هى التى تضمن الصلاح والفلاح، وكل مادون ذلك، من مذهب وفكرة ورأى وعمل هو فساد وضلال وظلمات بعضها فوق بعض، وذلك هو الذى عناه المفسرون.

ويسمى الشيخ إسماعيل حقى: الصلاح الدينى والدنيوى «تكليفا شرعيا» والتكليف الشرعى لا يثبت إلا بكتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ بقول الشيخ:

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ﴾[2]

«جماعة داعية إلى الخير، أى إلى ما فيه صلاح دينى ودنيوى، فالدعاء إلى الخير عام فى التكليف من الأفعال والتروك».[3]

خلاصة القول: يتضح لنا من خلال النصوص القرآنية التى سقنا بين يدى هذا البحث أن الأمة الإسلامية مكلفة بالدعوة إلى الخير، والمراد بالخير كما علمنا من آراء المفسرين أنها ترادف الدعوة إلى الإسلام، ومن هنا فلن تستطيع الأمة الإسلامية أن تؤدى حق الدعوة إلى الإسلام إلا إذا وقفت نفسها لنشر الإسلام وتبليغه إلى الناس أجمعين، ولابد من تسخير كل إمكانية الأمة وطاقاتها لإقامة دين الله فى الأرض والتمكين فى الدنيا بأسرها، وحينما يعلم الله تعالى صدقها فسوف ينصرها كما ورد ذلك فى محكم الكتاب:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾.[4]

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تفسير سورة آل عمران.

(٢) سورة آل عمران ، الآية: ١٠٤.

(٣) راجع: روح البيان ج ١ ص ٣٥٢.

(٤) سورة الحج ، الآية: ٤٠.

الفصل الثانى

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مصطلح قرآنى لمهمة النبى:

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مهمة نبوية، وهو من المصطلحات التى عبر بها القرآن الكريم عن عمل الأنبياء وخلفائهم، فقال يصف رسول الله ـ ﷺ ـ :

﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[1].

قال الزجاج: يجوز أن يكون مستأنفاً، ويجوز أن يكون (يجدونه مكتوبا عندهم) أنه يأمرهم بالمعروف. قال ابن عباس: المعروف: مكارم الأخلاق، وصلة الأرحام، والمنكر: عبادة الأوثان، وقطع الأرحام، وقال مقاتل: المعروف: الإيمان. والمنكر: الشرك، وقال غيره: المعروف: الحق؛ لأن العقول تعرف صحته، والمنكر: الباطل؛ لأنَّ العقول تنكر صحته[2].

وصية لقمان لابنه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

وقد أوصى لقمان ابنه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتحمل لكل ما يتعرض له فى سبيله؛ لأنَّ هذا العمل يتطلب جهداً كبيراً، وعزيمة صادقة، وهمة بعيدة، ولا يصبر عليه إلا أولو العزم من الرجال، فقال لابنه:

---

(١) سورة الأعراف ، الآية: ١٥٧.

(٢) راجع: زاد المسير فى علم التفسير ج ٣ ص ٢٧٢ ، ٢٧٣.

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾[1].

وكان لقمان من الصلحاء الأتقياء، وإن لم يكن من الرسل والأنبياء، ولم يذكر القرآن وصيته لابنه لأنها تلقى ضوءاً على سيرته وأخلاقه، وإنما أوردها لنتبعها ونتمثلها، يقول العلامة الجصاص ـ رحمه الله تعالى ـ :

«إنما حكى الله تعالى لنا ذلك عن عبده لنقتدى به وننتهى إليه»[2].

ويقول العلامة ابن عاشور ـ رحمه الله تعالى ـ: «وشمل الأمر بالمعروف الإتيان بالأعمال الصالحة كلها على وجه الإجمال ليتطلب بيانه فى تضاعيف وصايا أبيه، كما شمل النهى عن المنكر اجتناب الأعمال السيئة كذلك.

والأمر بأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يقتضى إتيان الآمر وانتهاءه فى نفسه؛ لأنَّ الذى يأمر بفعل الخير وينهى عن فعل الشر يعلم ما فى الأعمال من خير وشر، ومصالح ومفاسد، فلا جرم أن يتوقاه فى نفسه بالأولوية من أمره الناس ونهيه إياهم.

فهذه كلمة جامعة من الحكمة والتقوى؛ إذ جمع لابنه الإرشاد إلى فعله الخير وبثه فى النَّاس، وكفه عن الشر وزجره النَّاس عن ارتكابه، ثم أعقب ذلك بأن أمره بالصبر على ما يصيبه.

ووجه تعقيب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بملازمة الصبر: أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قد يجران للقائم بهما معاداة من بعض الناس أو أذى من بعض، فإذا لم يصبر على ما يصيبه من جراء الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أوشك أن يتركهما[3].

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٧.

(٢) راجع: أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٥٩٢.

(٣) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢١ ص ١٦٤ ، ١٦٥.

كان المؤمنون من أهل الكتاب قائمين بفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

كان أهل الكتاب فى عهد نزول القرآن قد تسرب إليهم فساد وخيم عليهم ضلال، وقد حادوا عن الصراط المستقيم، وتركوا دين الله الحق، ولكن لم تزل طائفة منهم قائمة على سبيل الحق تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فأثنى عليها القرآن، مما يدل على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من الشروط اللازمة للقيام على سبيل الحق، قال تعالى:

﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[1]

فى سبب نزول هذه الآية الكريمة (ليسوا سواء) قولان :

أحدهما: أن النبى ـ ﷺ ـ احتبس عن صلاة العشاء ليلة حتى ذهب ثلث الليل، ثم جاء فبشرهم، فقال: إنه لا يصلى هذه الصلاة أحد من أهل الكتاب»[2] فنزلت هذه الآية. قاله ابن مسعود.

والثانى: أنه لما أسلم ابن سلام فى جماعة من اليهود، قال أحبارهم:

ما آمن بمحمد إلا أشرارنا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس، ومقاتل[3].

---

(١) سورة آل عمران،الآيتان: ١١٣ ، ١١٤.

(٢) رواه أحمد والطبرى وأبو يعلى والبزار وإسناده حسن، ولفظ أحمد: عن ابن مسعود قال: أخر رسول الله ـ ﷺ ـ صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد، فإذا الناس ينتظرون الصلاة، قال: أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم، قال: وأنزل هؤلاء الآيات (ليسوا سواءً من أهل الكتاب) حتى بلغ (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين).

(٣) زاد المسير فى علم التفسير ج١ ص ٤٤٢.

معنى الآية الكريمة:

لهذه الآية معنيان:

أحدهما: ليس أمة محمد واليهود سواء، هذا قول ابن مسعود، والسدى[1].

والثانى: ليس اليهود كلهم سواء، بل فيهم من هو قائم بأمر الله، هذا قول ابن عباس، وقتادة.

وقال الزجاج: الوقف التام (ليسوا سواءً) أى: ليس أهل الكتاب متساوين[2].

وفى معنى «قائمة» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الثابتة على أمر الله، قاله ابن عباس، وقتادة.

والثانى: أنها العادلة، قاله الحسن، ومجاهد، وابن جريج.

والثالث: أنها المستقيمة، قاله أبو عبيد والزجاج. قال الفراء:

ذكر أمة واحدة ولم يذكر بعدها أخرى: والكلام مبنى على أخرى، لأن سواءً، لابد لها من اثنين، وقد تستجيز العرب إضمار أحد الشيئين إذا كان فى الكلام دليل عليه. قال أبو ذؤيب:

عصيت إليها القلب إنى لأمره سميع فما أدرى أرشد طلابها[3].

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٤٢.

(٢) السابق نفسه ٢/ ٤٤٢.

(٣) ديوان الهذليين ج١ ص ٧١ قال الشيخ محمود شاكر فى تعليقه على البيت: رواية البيت هكذا لا يستقيم بها معنى، ورواية ديوانه: عصانى إليها القلب إنى لأمره.

ويروى: دعانى إليها.. وهما روايتان صحيحتان، وتمام معنى البيت فى الذى يليه

فقلت لقلبى يالك الخير إنما * يدليك للموت الجديد حبابها

يقول: عصانى القلب، وذهب إليها، فأنا أتبع ما يأمرنى به.

ولم يقل: أم لا، ولا: أم غى؛ لأنَّ الكلام معروف المعنى:

وقال آخر:

وما أدرى إذا يممت أرضًا أريد الخير أيهما يلينى
أألخير الذى أنا أبتغيه أم الشر الذى هو يبتغينى[1]

ويقول العلامة ابن عاشور فى قوله تعالى: (ليسوا سواء):

«استئناف قصد به إنصاف طائفة من أهل الكتاب، بعد الحكم على معظمهم بصيغة تعمهم، تأكيداً لما أفاده قوله:

﴿ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[2].

فالضمير فى قوله: «ليسوا» لأهل الكتاب المتحدث عنهم آنفاً، وهم اليهود، وهذه الجملة تتنزل من التى بعدها منزلة التمهيد.

و(سواء): اسم بمعنى المماثل، وأصله مصدر مشتق من التسوية.

وجملة «من أهل الكتاب أمة قائمة» إلخ... مبينة لإبهام «ليسوا سواء» والإظهار فى مقام الإضمار للاهتمام بهؤلاء الأمة، فالأمة هنا بمعنى الفريق. وإطلاق أهل الكتاب عليهم مجاز باعتبار ما كان، كقوله تعالى:

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾[3]

لأنهم صاروا من المسلمين.

---

(١) للمثقب العبدى من قصيدة جيدة فى «المفضليات» والبيتان تعبير صادق عن عدم معرفة الإنسان بما يخبىء له القدر من الخير والشر.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ٢.

وعدل عن أن يقال: منهم أمة قائمة إلى قوله: «من أهل الكتاب»: ليكون هذا الثناء شاملاً لصالحى اليهود، وصالحى النصارى، فلا يختص بصالحى اليهود؛ فإن صالحى اليهود قبل بعثة عيسى كانوا متمسكين بدينهم، مستقيمين عليه، ومنهم الذين آمنوا بعيسى واتبعوه، وكذلك صالحو النصارى قبل بعثة محمد ـ ﷺ ـ كانوا مستقيمين على شريعة عيسى، وكثير منهم أهل تهجد فى الأديرة والصوامع، وقد صاروا مسلمين بعد البعثة المحمدية[1].

ولعلك تستطيع أن تقدر بعد بيان هذه الآيات مدى المهمة العظيمة التى قام بها كل نبى، والصالحون من أمته فى عصرهم، والتى كلفنا نحن القيام بها فى عصرنا.

والحق أن هذا التعبير القرآنى الموجز المعجز الذى يبدو مجموعة لكلمات عديدة يمثل الغاية التى بعث لتحقيقها الأنبياء والرسل ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ وليس ذلك تفسيراً واستنباطاً منا نحن فحسب، بل هو الذى قال به العلماء الأعلام.

فقال ابن تيمية[2].

«الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله من الدين» ويقول القرطبى[3].

«إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كانا واجبين فى الأمم المتقدمة، وهو فائدة الرسالة وخلافة النبوة».

ويقول العلامة سيف الدين الآمدى[4]:

---

(١) راجع التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٤ ص ٥٧ ، ٥٨.

(٢) الحسبة فى الإسلام ص ٣٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ٤ ص ٤٧.

(٤) انظر: الإحكام فى أصول الأحكام ج ١ ص ٣٠٨.

«ما من أمة إلا وقد أمرت بالمعروف كاتباع أنبيائهم وشرائعهم، ونهت عن المنكر كنهيهم عن الإلحاد وتكذيب أنبيائهم».

ويقول الإمام الرازى[1]:

«الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله، إنّ هذه الصفات الثلاث كانت حاضرة فى سائر الأمم».

ويقول العلامة السيد رشيد رضا[2]:

«وقد جرت سنة الأنبياء والمرسلين والسلف الصالحين على الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإن كان محفوفاً بالمكاره والمخاوف».

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وظيفة الأمة المسلمة:

يتبين مما تقدم من أقوال العلماء التى سقناها أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لم يزل فى كل عصر من العصور مهمة الرسل وأممهم، وللنهوض بنفس المهمة وجدت الأمة الإسلامية، فلا يكفى ـ بحكم مكانتها وغاية وجودها ـ أن تعيش حياة صالحة تقية هى نفسها فحسب، بل هى عليها أن تعمل لتوجيه العالم وقيادته وهدايته أيضاً، فهى عابدة وزاهدة كما هى رائدة وقائدة، فعبادة الله تعالى وهداية خلقه وجهان لمهمتها، وإن إهمال واحد منهما يجعل صاحبها يوم القيامة من المجرمين الخاسرين[3].

وقد وردت الأدلة الكثيرة فى الكتاب والسنة التى تدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

---

(١) راجع: مفاتيح الغيب ج ٣ ص ٢٧.

(٢) انظر: تفسير المنار، الأستاذ/ السيد رشيد رضا ج ٤ ص ٣٢.

(٣) راجع: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ص ١٩.

أولاً الأدلة التى وردت فى القرآن الكريم وهى تفيد وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر منها قول الحق تعالى:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[1]

وقوله جل شأنه:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[2]

أقوال المفسرين فى بيان الآية:

لقبت الآية الكريمة الأمة المسلمة بخير أمة، ووصفتها بأمرين:

الأول: أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، والثانى أنها تؤمن بالله عز وجل.

والإيمان بالله: أن يخلص الإنسان عبادة الله تعالى ويخضع لحاكميته، ويطيعه فى كل ما يأمر به عن طواعية وطيب نفس، فالإيمان عبارة عن يقين القلب وكمال الاتباع، فسر العلامة الخازن الإيمان بالله فى هذه الآية بقوله[3]:

«تؤمنون بالله» أى: تصدقون بالله وتخلصون له التوحيد والعبادة».

دل ذلك على أن الأمة الإسلامية إنما لقبت بخير أمة لأنها ستكون خير العالم المملوء بالشر، وتهديه إلى الصراط المستقيم بجانب، وتكون مطيعة لله تعالى إطاعة

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة آل عمران ، الآية: ١١٠.

(٣) لباب التأويل فى معانى التنزيل ج١ ص ٣٣٩.

كاملة بجانب آخر، وهذا العمل الثنائى يحل الأمة الإسلامية مكانة مرموقة لا تبلغها أمة أخرى كما يوجد فيها شبهاً بالأنبياء، ولا شك أن الأمة التى تشبه الأنبياء لا يمكن أن تدانيها ـ فضلا عن أن تكون أفضل منها ـ أى أمة على وجه الأرض.

ويقول العلامة الشيخ أحمد الصاوى فى بيان الآية السابقة[1]:

«هذه الأمة لها شبه بالأنبياء من حيث إنها مهتدية فى نفسها هادية لغيرها» والأمة الإسلامية إذا سلبت خصائص الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فأى عز بقى لها بعد ذلك، وقد روى أن سيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) تلا هذه الآية فى حجه فقال[2]:

«يا أيها الناس، من سره أن يكون من تلك الأمة فَلْيؤَدِّ شرط الله منها»

وفسر مجاهد ـ رحمه الله ـ فقال[3]:

«كنتم خير النَّاس للنَّاس على هذا الشرط: أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله»

ويقول الإمام القرطبى[4]:

«تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا التغيير وتباطئوا عن المنكر زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم؛ وكان ذلك سبباً لهلاكهم».

وبين هذه الحقيقة العلامة الرازى بأسلوبه الفقهى المتميز فقال[5]:

---

(١) راجع: حاشية الصاوى على الجلالين ج ١ ص ١٥٣.

(٢) انظر: جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبرى ج ٤ ص ٢٨.

(٣) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج ٤ ص ١٧٣.

(٥) راجع: مفاتيح الغيب ج ٣ ص ٣٧.

«إنه ثبت فى أصول الفقه أن ذكر الحكم مقرونا بالوصف المناسب له يدل على كون ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف، فهاهنا حكم تعالى بثبوت وصف الخيرية لهذه الأمة، ثم ذكر عقيبه هذا الحكم: هذه الطاعات، أعنى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان، فوجب كون تلك الخيرية معللة بهذه العبادات».

نلاحظ فى هذه الآية الكريمة أن القرآن الكريم لقب الأمة الإسلامية «بخير أمة» لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وكذلك وصف القرآن المؤمنين من أهل الكتاب «بأمة قائمة» لأنهم يتلون كتاب الله، ويعبدون الله تعالى، ويؤمنون به وبالآخرة، ولأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» مما يدل على أن الانتماء إلى «خير أمة» و «الأمة القائمة» لا يقتضى التحلى بصفات ذاتية فحسب، بل يستوجب مع ذلك حمل الرسالة وقيادة البشرية، وهداية العالم.

وقد تناولت هذا الموضوع بمزيد من التوضيح الآية التالية فى وصف المؤمنين حيث يقول الله تعالى:

﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[1]

فالآية الكريمة تضمنت صفات المؤمنين المتصلة بأنفسهم، وصفات أخرى تشير إلى عملهم فى غيرهم، فالتوبة، والعبادة ، والحمد، والسياحة فى سبيل الله، والركوع، والسجود له، كلها صفات لا يتجاوز تأثيرها ذواتهم، أما الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهو يمثل العمل الذى يقومون به لغيرهم.

يقول الإمام ابن كثير[2]:

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٢.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٩٢.

«ينفعون خلق الله، ويرشدونهم إلى طاعة الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع العلم بما ينبغى فعله ويجب تركه، وهو حفظ حدود الله فى تحليله وتحريمه علما وعملاً، فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق ولهذا قال: «وبشر المؤمنين» لأن الإيمان يشمل هذا كله، والسعادة كل السعادة لمن اتصف به».

ولخص ذلك الإمام الألوسى بجملة واحدة فقال[1]:

«كأنه قيل: الكاملون فى أنفسهم المكملون لغيرهم».

فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليس بعبادة فحسب بل هى أصعب العبادات، كما يقول الإمام فخر الدين الرازى[2]:

«كل ما سبق من الصفات عبادات يأتى بها الإنسان لنفسه ولا تعلق لشىء منها بالغير، أما النهى عن المنكر فعبادة متعلقة بالغير...».

ويقول الإمام ابن تيمية[3]:

«ومن عبادته وطاعة أمره الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بحسب الإمكان» كما وردت آيات كثيرة فى هذا المعنى وهى تشير بجلاء إلى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

قال تعالى:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[4].

وقوله تعالى:

---

(١) انظر: روح المعانى للألوسى ج ١١ ص ٣٢.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب ج ٤ ص ٥٢٣.

(٣) رسالة العبودية ص ٩.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[1]

وقال تعالى:

﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾[2]

وجوب الأمر بالمعروف فى الأحاديث النبوية :

وردت أحاديث كثيرة فى سنة رسول الله ـ ﷺ ـ تفيد وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على كل مسلم، كما وردت أحاديث أخرى قرنت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالعلم والتقوى، وصلة الرحم وغيرها من الصفات الرفيعة والفضائل النبيلة، وبعبارة أخرى: فإنّ كمال الإنسان أن يسعى دائماً فى سبيل الدعوة ونشر الفضائل والإصلاح مع تحليه بالفضائل الفردية: الفكرية منها والعملية، وجعل النبى ـ ﷺ ـ هذا العمل من أصول الدين الأساسية، ورفض أن يكون الذى لا يشعر بمسئولية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عضواً صالحاً من أعضاء المجتمع الإسلامى، وأخيراً لم يقتصر النبى ـ ﷺ ـ على تأكيد هذا العمل والحث عليه فحسب، بل أبدى خوفه من أن ينزل الله عذاباً منه لو أهمل المسلمون هذه الفريضة:

١ـ عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[3].

---

(١) سورة التوبة ، الآية: ٧١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٥.

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه، حديث رقم ٤٩ وأبو داود فى سننه برقم (١١٤٠) و (٤٣٤٠) والترمذى برقم (٢١٧٣)، والنسائى ج ٨ ص ١١١، وابن ماجه برقم (٤٠١٣).

٢ـ روت درة بنت أبى لهب أنه قام رجل إلى النبى ـ ﷺ ـ وهو على المنبر فقال: يا رسول الله، أى النّـاس خير؟ فقال ـ ﷺ ـ: «خير الناس أقراهم وأتقاهم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم»[١].

٣ـ عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «مامن نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون[٢] وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[٣].

٤ـ ورى أبو هريرة عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال:

«الإسلام أن تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتسليمك على أهلك، فمن انتقص شيئاً منهن فهو سهم من الإسلام يدعه، ومن تركهن فقد ولى الإسلام ظهره»[٤].

٥ـ روى أبو سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال: «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»[٥].

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده ج ٦ ص ٤٣٢، قال الحافظ المنذرى: رواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب، والبيهقى فى الكبير وغيره (الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٩).

(٢) الحواريون: هم خلصاء الأنبياء وأصفياؤهم. انظر: مختار الصحاح ص ١٦١.

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه حديث رقم (٥٠) وذكره النووى فى رياض الصالحين ص ١٢٦.

(٤) أخرجه الحاكم فى المستدرك ج ١ ص ٢١ والمنذرى بمعناه عن البزار: انظر الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ١١.

(٥) أخرجه الترمذى برقم (٢١٧٥) وأبو داود برقم (٤٣٤٤)، وابن ماجه برقم (٤٠١١)، وفى سنده عطية العوفى وهو ضعيف، ولكن الحديث قوى بحديث طارق بن شهاب الآتى، وبحديث أبى أمامة عند أحمد ٢٥١/٥ و ٢٥٦، وابن ماجه (٤٠١٥) وسنده حسن.

٦ـ عن أبى عبد الله طارق بن شهاب البجلى الأحمسى ـ رضى الله عنه ـ أن رجلاً سأل النبى ـ ﷺ ـ وقد وضع رجله فى الغرز: أى الجهاد أفضل؟ قال: «كلمة حق عند سلطان جائر» رواه النسائى[1] بإسناد صحيح.

«والغرز» بغَيْنٍ معجمةٍ مفتوحة ثم راء ساكنة ثم زاى، وهو ركاب الجمل إذا كان من جلد أو خشب، وقيل: لا يختص بجلد وخشب[2].

٧ـ روى حذيفة بن اليمان ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال: «والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» رواه الترمذى[3] وقال: حديث حسن.

٨ ـ عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض» ثم قال:

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾

(١) سنن النسائى ج ٧ ص ١٦١، ورجاله ثقات، وحسنه المنذرى فى الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٦٨.

(٢) انظر: الفائق فى غريب الحديث للإمام الزمخشرى ج ٣ ص ٦٣.

(٣) انظر: سنن الترمذى حديث رقم (٢١٧٠) وفى سنده عبد الله بن عبد الرحمن الأنصارى الراوى عن حذيفة لم يوثقه غير ابن حبان، لكن له شاهد من حديث ابن عمر عند الطبرانى فى الأوسط وآخر عن أبى هريرة عند الطبرانى فى «الأوسط» أيضاً، انظر «مجمع الزوائد» ج ٧ ص ٢٦٦.

تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾

إلى قوله:

﴿ فَٰسِقُونَ ﴾[1]

ثم قال: «كلا، والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطْـراً، ولتقصرنه على الحق قصراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعننكم كما لعنهم» رواه أبو داود، والترمذى[2] وقال حديث حسن.

والأحاديث فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كثيرة، وما سقته منها يكفى للاستشهاد على موضوعنا.

إجماع الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

أجمعت الأمة الإسلامية سلفاً وخلفاً على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ وذلك استناداً إلى آيات القرآن الكريم الصريحة، وأحاديث الرسول الكريم ـ ﷺ ـ الواضحة الدلالة، فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فريضة عظيمة .

قال العلامة الضحاك:

«الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فريضة من فرائض الله كتبها الله على المؤمنين»[3].

---

(١) سورة المائدة، الآيات: ٧٨ ـ ٨١.

(٢) انظر: سنن أبى داود برقم (٤٣٣٦)، والترمذى برقم (٣٠٥٠) وابن ماجه (٤٠٠٦).

(٣) انظر: فتح القدير ج ٢ ص ٣٦٣.

ويقول حجة الإسلام الإمام الغزالى[1]:

«الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين، وهو المهمة التى ابتعث الله لها النبيين أجمعين، ولوطوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد، وقد كان الذى خفنا أن يكون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق، وانمحقت عنها مراقبة الخالق، واسترسل النّـاس فى اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لاتأخذه فى الله لومة لائم، فمن سعى فى تلافى هذه الفترة، وسد هذه الثلمة، إما متكفلا بعلمها، أو متقلداً لتنفيذها، مجدداً لهذه السنة الدائرة، ناهضاً بأعبائها، ومتشمراً فى إحيائها كان مستأثراً من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها، ومستمسكاً قربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها».

ثم يبدأ الباب الأول بقوله:

«الباب الأول فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفضيلته، والمذمة فى إهماله وإضاعته، ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه، وإشارات العقول السليمة إليه، الآيات والأخبار والآثار»[2].

ويقول أبو بكر الجصاص:

«أكد الله تعالى فرض الأمر بالمعروف والنهى فى مواضع من كتابه، وبينه رسول الله ـ ﷺ ـ فى أخبار متواترة عنه فيه، وأجمع السلف وفقهاء الأمصار على

(١) انظر: إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ج٢ ص ٢٦٩.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين للغزالى ج ٢ ص ٢٦٩.

وجوبه»[1].

وقال ابن حزم:

«اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بلاخلاف من أحد منهم»[2].

وقال النووى:

«وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو أيضاً النصيحة التى هى الدين»[3].

ويقول الإمام الشوكانى:

«وجوبه ثابت بالكتاب والسنة، وهو من أعظم واجبات الشريعة، وأصل عظيم من أصولها، وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها»[4].

ويرى الإمام ابن تيمية أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله من أظهر أحكام الشريعة المتواترة، فإن أهملتها طائفة من الأمة وجب على الدولة الإسلامية محاربتها، فهو يقول:

«كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين، وإن تكلمت بالشهادتين، فإذا أقروا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلوات الخمس وجب قتالهم حتى يصلوا.. وكذلك إن امتنعوا عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجهاد الكفار إلى أن يسلموا أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون»[5].

---

(١) راجع: أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٥٩٢.

(٢) انظر: الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٧١.

(٣) راجع: شرح مسلم، للنووى، ج ١ ص ١٥١ الطبعة الهندية.

(٤) انظر: فتح القدير ج ١ ص ٣٣٧.

(٥) انظر: مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ٤ ص ١٨١.

كيف يكون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

فى الغالب يكون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالقول، كما أنه قد يكون بدعوة غير المسلم إلى الإسلام، أو بدعوة المسلم العاصى إلى طاعة الله سبحانه وتعالى، والإقلاع عن مخالفة شرعه، كما أن هذا الأمر والنهى بأنواعه قد يكون موجها إلى شخص بعينه، أو إلى عدة أشخاص، أو إلى طائفة من الناس، أو بشكل دعوة عامة إلى الناس لاتباع ما جاء به الإسلام وترك ما يخالفه، والقواعد الجامعة فى هذا الباب والتى يجب أن يفقهها الداعى هى ما يلى:

قواعد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

القاعدة الأولى: من الأمور الضرورية لأداء هذه المهمة العظيمة (العلم بالمعروف) الذى يدعو إليه والعلم بالمنكر الذى ينهى عنه.

قال بعض السلف:

«لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهاً فيما يأمر به فقيها فيما ينهى عنه»[1].

وهذا أمر واضح لمن يريد أن ينجح فى دعوته؛ لأن من يتصدى لعلاج المرضى يشترط فيه أن يكون ملماً بالمرض وأسبابه، والدواء الذى سيتخذه فى علاجه، وهذا يوجب عليه أن يكون طبيباً حاذقاً لمهنته، فكذلك الداعى إلى الله تعالى، ومما يشير إلى هذه القاعدة قول الله ـ جل شأنه ـ:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾.[2]

ومعنى قوله تعالى:

---

(١) راجع: أصول الدعوة، ص ٤٧٩.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾

أى: على يقين[1].

والبصرة: فعلية بمعنى فاعلة. وهى الحجة الواضحة. والمعنى: أدعو إلى الله ببصيرة متمكناً منها. ووصف الحجة ببصيرة مجاز عقلى. والبصيرة: صاحب الحجة؛ لأنه بها صار بصيراً بالحقيقة. ومثله وصف الآية بمبصرة فى قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً ﴾[2].

وبعكسه يوصف الخفاء بالعمى كقوله:

﴿ وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾[3].

وفى الآية دلالة على أن أصحاب النبى ـ ﷺ ـ والمؤمنين الذين آمنوا به مأمورون بأن يدعوا إلى الإيمان بما يستطيعون، وقد قاموا بذلك بوسائل بث القرآن وأركان الإسلام والجهاد فى سبيل الله، وقد كانت الدعوة إلى الإسلام فى صدر زمان البعثة المحمدية واجباً على الأعيان؛ لقول الرسول الكريم ـ ﷺ ـ:

«بلغوا عنى ولو آية»[4] أى: بقدر الاستطاعة، ثم لما ظهر الإسلام وبلغت دعوته الأسماع صارت الدعوة إليه واجباً على الكفاية كما دل عليه قوله تعالى:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾[5].

---

(١) انظر: زاد المسير ج ٤ ص ٢٩٥.

(٢) سورة النمل، الآية: ١٣.

(٣) سورة هود، الآية: ٢٨.

(٤) أخرجه البخارى ج ٤ ص ١٤٥ فى كتاب الأنبياء، باب (٥٠).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤ وانظر تفسير التحرير، للإمام ابن عاشور ج١٣ ص ٦٥ ، ٦٦.

القاعدة الثانية: الرفق:

والأصل فيه ما ورد فى القرآن الكريم والسنة المطهرة، قال ـ جل شأنه ـ مخاطباً موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ:

﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ (١)

والقول اللين الذى أشارت إليه الآية الكريمة جاء بيانه فى قول الله تعالى فى سورة النازعات:

﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ (٢)

فهذا الخطاب صريح فى بيان الحق، ولكنه رقيق لا يجد المبطل فيه إثارة لنفسه المثقلة بالباطل. ثم يبلغ اللين والرفق فى الخطاب إلى مدى أبعد من ذلك، فيقول موسى كما حكاه الله عنه:

﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾ (٣).

فهذا تحذير لطيف وصادق إلى فرعون إذ لم يوجه موسى ـ عليه السلام ـ العذاب إلى فرعون مباشرة، وإنما قال:

﴿ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾

وهذا فيه ما فيه من لين القول والتلطف فى التحذير.

وإذا كان الله تعالى قد أمر موسى ـ عليه السلام ـ بالقول اللين مع عصمته

---

(١) سورة طه، الآيتان: ٤٣ ، ٤٤.

(٢) سورة النازعات، الآيتان: ١٨ ، ١٩.

(٣) سورة طه، الآية: ٤٨.

وحفظ الله له، فغيره أولى بالأخذ باللين والتلطف فى الخطاب، فإن القائل باللين ليس بأفضل من موسى، والمقول له ليس بأخبث من فرعون.

كما وردت أحاديث كثيرة فى سنة رسول الله الكريم ـ ﷺ ـ تأمر بالرفق واللين، منها ما يأتى:

١ـ عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله» متفق عليه[١].

٢ـ وعنها أن النبى ـ ﷺ ـ قال: «إنَّ الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق مالا يعطى على العنف ومالا يعطى على ما سواه»[٢].

٣ـ وعنها أن النبى ـ ﷺ ـ قال: «إنَّ الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه، ولا ينزع من شىء إلا شانه»[٣].

٤ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: بال أعرابى فى المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه،فقال النبى ـ ﷺ ـ: «دعوه وأريقوا على بوله سجلا من ماء، أو ذنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»[٤].

«السجل» بفتح السين المهملة وإسكان الجيم: وهى الدلو الممتلئة ماءً، وكذلك الذنوب.

٥ـ عن أنس ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا».[٥]

---

(١) أخرجه البخارى ج ١٠ ص ٣٧٥، ومسلم برقم (٢١٦٥)، وأحمد فى مسنده ج ٦ ص ٣٧، و ٨٥ و ١٩٩.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه برقم (٢٥٩٣).

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه برقم (٢٥٩٤).

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ج ١ ص ٢٧٨، ٢٧٩ وذكره النووى فى رياض الصالحين ص ٣٠٣.

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه ج ١ ص ١٥٠ ومسلم برقم (١٧٣٤).

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة فى هذا الشأن، ومما لا شك فيه أن القول اللين فى الدعوة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يدخل فى مفهوم الرفق المأمور به.

والداعى إلى الله تعالى ربما يخرج فى بعض الأحيان عن نهج اللين فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولكن يجب عليه دائماً أن يحمل نفسه بعض المشقات حتى يصل إلى ما يريده من دعوته، وله فى رسول الله ـ ﷺ ـ أسوة حسنة، فقد كان النبى ـ ﷺ ـ الداعى الأول إلى ربه، يتحمل مالا يتحمله غيره من النّاس فى سبيل الدعوة، فلقد كان النبى ـ ﷺ ـ يراعى ظروف من يدعوهم ومن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فالرسول ـ ﷺ ـ أعظم نموذج للرفق بالمتعلمين إذا أخطأوا:

هو رسول الله ـ ﷺ ـ فهو خير من يقدر الظروف، ويراعى الأحوال ويسع الناس جميعاً، حتى من يصرح بفعل الشر والمنكر تسعه أخلاق رسول الله ـ ﷺ ـ .

روى أبو أمامة ـ رضى الله عنه ـ أن فتى من قريش جاء إلى النبى ـ ﷺ ـ فقال: يا رسول الله ائذن لى فى الزنى؟ فأقبل القوم عليه وزجروه، فقال ـ ﷺ ـ ادْنُـهْ؛ فدنا فقال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله، جعلنى الله فداك: قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، ثم قال له مثل ذلك فى ابنته وأخته وعمته، وخالته، وفى كل ذلك يقول: أتحبه هكذا؟ فيقول: لا والله، جعلنى الله فداك، فيقول ـ ﷺ ـ: ولا النّاس يحبونه؛ ثم وضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه» فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شىء[1].

فهذا شاب عارم الشهوة، ثائر الغريزة، صريح فى التعبير عن نوازعه إلى حد الإغراب والإثارة، ورغم غرابة طلبه الذى أثار الجالسين عليه لم يكن منه ـ ﷺ ـ

---

(١) رواه أحمد فى مسنده، والطبرانى فى الكبير كما فى جمع الفوائد وأعذب الموارد حديث ٢٤٠.

إلا أن لقيه بهذا الرفق العجيب والحوار الهادىء الذى يحمل المنطق المقنع، والروح المحبب، ثم أنهى هذا الحوار بلمسةحنان على صدر الفتى المتوقد، ومع اللمسة دعوات خالصة لله تعالى أن يغفر للفتى ويطهره ويحصنه، فإذا هو يخرج من مجلس الرسول ـ ﷺ ـ كأنما كان هذا اللقاء لنار شهوته برداً وسلاماً.

وهذا الأثر الذى تركه موقف الرسول ـ ﷺ ـ فى نفس الشاب من هدوء نفس وإعراض عن الزنا الذى كان يتوق إليه ويرغب فيه.. كان معجزة خارقة للنبى ـ ﷺ ـ ولا تكرر لغيره إلا من باب الكرامات، وخوارق العادات، كلا فإنَّ أى معلم ربانى الوجهة، نبوى الطريقة، يقتدى برسول الله ـ ﷺ ـ فى سلوكه؛ قولا وعملا وروحاً، سيجد ـ بتوفيق الله تعالى: نفس الأثر، أو قريباً منه، وفقاً لسنة الله تعالى[1].

تنبيه المخطىء على خطئه:

من الأمور المهمة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أنه يجب على الداعى أن ينبه المخطىء على خطئه ولا يسكت على ذلك؛ لأن هذا السكوت على الخطأ ليس من الرفق الذى أمر به الإسلام فى شىء وفى السكوت على الخطأ إقرار له وإشاعة لعمله الباطل، وتقصير فى حق الداعى إلى الله تعالى.

فالرفق بالمخطىء والإشفاق عليه لا ينافى تنبيهه على خطئه، بل زجره عنه بالرفق المناسب لظروف المخطىء ومدى خطئه ونوعه ودوافعه،وإرشاده إلى الصواب والوضع الصحيح بالتى هى أحسن.

والأحاديث النبوية فى هذا المعنى أكثر من أن تحصى، من هذه الأحاديث ما رأيناه منه ـ ﷺ ـ يفعله حينما دخل ذلك الأعرابى وعمد إلى ركن من أركان

---

(١) انظر: الرسول والعلم. د. يوسف القرضاوى ص ١٢٢ ، ١٢٣.

المسجد فبال فيه، فقام إليه الصحابة ليمنعوه عن هذا العمل وقالوا له: مَـهْ مَـهْ (كلمة زجر) فقال لهم رسول الله ـ ﷺ ـ: «لاتزرموه، دعوه» فتركوه حتى بال. ثم إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إنَّ هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هى لذكر الله عز وجل ، أو الصلاة، وقراءة القرآن». أو كما قال رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «فأمر رجلاً من القوم، فجاء بدلو من ماء فشنه عليه»[1].

وفى هذا ـ كما يقول الإمام النووى ـ الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير إيذاء.

وكذلك حين دعا الأعرابى فقال: اللهم ارحمنى ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً» نبهه النبى ـ ﷺ ـ برفق إلى أنه ضيق واسعاً، حين قصر طلب الرحمة له وللرسول دون غيرهما، مع أن رحمته تعالى وسعت كل شيء. ولهذا قال له: «لقد تحجرت واسعاً»[2].

وقد يكون هذا التنبيه أو الإرشاد أو الزجر من باب التعريض لا التصريح، وبالتعميم لا بالتخصيص، ويدرك المخطىء حين يسمع اللفظ العام أنه المقصود،مثل: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا».. مثل ما ذكروه فى قصة من هاجر من مكة إلى المدينة من أجل امرأة يهواها وأطلق عليه بعض الصحابة «مهاجر أم قيس» وقالوا: إنه كان سبباً فى ورود الحديث المشهور: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه حديث رقم ٢٨٥ ،باب ٣ ـ كتاب الطهارة ج ١ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.

(٢) رواه الترمذى عن أبى هريرة وقال: حديث حسن صحيح،انظر سنن الترمذى ج ١ باب ١١٢.

هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[1].

وفى بعض الأحيان يكون التنبيه على الخطأ فى قمة الرفق، ورعاية الشعور. وقد ورد هذا التنبيه فى قصة الصحابى الكريم أبى بكرة حيث دخل المسجد، والنبى ـ ﷺ ـ فى الركوع، فكبر من أول المسجد وركع، وظل يمشى راكعاً حتى وصل الصف،وكان ينبغى ألا يكبر ويدخل فى الصلاة حتى يصل إلى الصف ولا يصلى منفرداً خلف الصف، فلما بلغ رسول الله ـ ﷺ ـ فعله قال له هذه الكلمة الطيبة: «زادك الله حرصاً ولا تَعُدْ»[1].

فهذه الجملة الموجزة تتضمن دعاءً ونهياً، ففى الدعاء تقدير لنبل الدافع الذى دفع الصحابى الكريم إلى ما فعل، وهو الحرص على ألا تفوته الركعة فى الجماعة مع النبى ـ ﷺ ـ وفى النهى إشعار بخطئه لئلا يتكرر منه مرة أخرى دون أن يقول له: قد أخطأت[1].

القاعدة الثالثة: النظر إلى المصالح والمفاسد، ومعنى ذلك أن يكون قول الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر بفقه ونظر فيما يصلح من ذلك ومالا يقدر عليه، فإذا تعارضت المصالح والمفاسد فيما يأمر به أو ما ينهى عنه نظر: فإن كان فيما يقوله ـ أمراً ونهياً ـ مصالح أعظم من المفسدة التى تحصل فى أمره ونهيه وجب عليه الأمر

---

(١)متفق عليه أخرجه البخارى ج١ ص ٧ ومسلم برقم (١٩٠٧) وأبو داود برقم (٢٢٠١) والترمذى برقم (١٦٤٧) والنسائى ج ١ ص ٥٩، ٦٠ وهو فى البخارى أيضاً ج ١ ص ١٢٦ و ٥/ ١١٧ و ٧/ ١٧٧ و ج ٩ ص ١٠٠ و ج ١١ ص ٤٩٦ و ج ١٢ ص ٢٩٠.

وانظر: فتح البارى شرح صحيح البخارى للعلامة ابن حجر فى شرحه لهذا الحديث وبيان سبب وروده، وهو أول حديث فى صحيح البخارى ج١ص ٧.

(٢) ، (٣) انظر: الرسول والعلم ص ١٢٥.

والنهى، وإن كان العكس ـ أى: المفاسد أعظم ـ لم يجب عليه، بل قد يحرم[1].

القاعدة الرابعة: اختلاط المعروف بالمنكر:

يتبين لنا من الأدلة التى سقناها أن الداعى إلى الله تعالى، يأمر بالمعروف أمرا عاماً، وينهى عن المنكر نهياً عاماً،ولكن إذا ظهر له أنّ شخصاً معيناً، أو جماعة معينة، خلطت فى أقوالها وأفعالها بين المعروف والمنكر، وهم إما يفعلونهما معاً أو يتركونهما معاً، فعلى الداعى أن ينظر: فإن كان مصلحة المعروف أكبر وأرجح أمر به، وإن جاءوا بالمنكر المغمور فى الخير. وإن كان الشر أكثر نهى عنه، وإن فات الخير الكثير المغمور فيه.

وإذا اشتبه الأمر على الداعى توقف حتى يتبين له الأمر فلا يقدم إلابعلم وإخلاص.

القاعدة الخامسة: التبليغ حسب الإمكان:

ليس من شروط أداء واجب التبليغ أن يصل أمر الآمر ونهى الناهى إلى كل إنسان مكلف فى العالم؛ إذ ليس هذا من شرط تبليغ الرسالة، فكيف يشترط فيما هو من توابعها؟ بل يشترط أن يتمكن المكلفون من وصول ذلك إليهم، ثم إذا فرطوا فلم يسعوا فى وصوله إليهم مع قيام فاعله بما يجب عليه فإنّ التفريط منهم لا منه»[2].

القاعدة السادسة: الاستعانة ببعض المباح لتغيير المنكر:

الأصل فى ذلك مشروعية تأليف القلوب حتى تقبل الخير وتقلع عن الشر، ولوكان هذا التأليف بمال يبذل. وقد روى عن الإمام عمر بن عبد العزيز أنه قال:

---

(١) راجع: مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢٨ ص ١٢٨.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية.

«والله ما أستطيع أن أخرج لهم شيئاً من أمر الدين إلا ومعه طرف من الدنيا أستلين به قلوبهم خوفاً أن ينخرق على منهم ما لاطاقة لى به»[1] وعلى هذا يجوز للداعى أن يعوض الشخص المتلبس بالمنكر ببعض الأمور المباحة، ويترك هذا الأمر إلى الداعى يقدره بحسب الظروف المتاحة له[2].

* * *

(١) راجع: سيرة عمر بن العزيز، تأليف عبدالله بن الحكم ص ٦٠.

(٢) راجع: أصول الدعوة ص ٤٨٤.

الفصل الثالث

عـدة الداعى

العلم وفضله :

وردت آيات كثيرة فى القرآن الكريم تتحدث عن فضل العلم،وتوضح منزلة العلماء عند الله تعالى، وعند النّـاس،فى الدنيا والآخرة، ورفعت العلماء مكاناً عليّـاً لا يسعى إليه على قدم،ولا يطار له على جناح إلا بواسطة العلم. قال ـ جل شأنه ـ:

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾[1]

وقوله تعالى:

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[2]

وقوله تعالى:

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

١ـ سورة الرعد، الآية: ١٩.

٢ـ سورة الزمر، الآية: ٩.

إلى غير ذلك من الآيات.

كما فاضت بفضل العلم والعلماء الأحاديث النبوية الشريفة التى نقلها العلماء الأجلاء فى مصنفات السنة ودواوينها.

وأولى العلوم بهذا الفضل وتلك المنزلة الرفيعة هوعلم الدين، الذى به يعرف الإنسان نفسه ويعرف ربه، ويهتدى إلى غايته، ويكتشف طريقه، ويعلم ماله وما عليه ، ثم بعد ذلك كل علم يكشف عن حقيقة تهدى النـاس إلى حق أو تقربهم من خير، أو تحقق لهم مصلحة، أو تدرأ عنهم مفسدة.

١ـ من هذه الأحاديث ما رواه الشيخان فى صحيحيهما عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين»[٢].

٢ـ ومنها ما رواه عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لاحسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها، ويعلمها» متفق عليه[٣].

٣ـ وعن سهل بن سعد ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال لعلى ـ رضى الله عنه ـ: «فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[٤] متفق عليه[٥].

٤ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال:

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٢) انظر: صحيح البخارى ج ١ ص ١٥٠، وج ٦ ص ١٥٢ ومسلم برقم (١٠٣٧) وأورده النووى فى رياض الصالحين ص ٥٢٣ برقم (٢/ ١٣٧٧) والمنذرى فى الترغيب والترهيب برقم (١٠٠) بترقيم الطبعة التى حققها محمد محيى الدين عبد الحميد.

(٣) البخارى ج ١ ص ١٥٢، ١٥٣ ومسلم برقم (٨١٦).

(٤) حمر النعم: الإبل الحمر، وهى أشرف أموال العرب.

(٥) انظر صحيح البخارى ج ٧ ص ٥٨ ومسلم برقم (٢٤٠٦).

«بلغوا عنى ولو آية، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولاحرج[1] ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النّـار»[2].

٥ـ وعن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم» ثم قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنّ الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمى النّـاس الخير» رواه الترمذى[3] وقال: حديث حسن.

فهذه الأحاديث تدل على فضل العلم، وبخاصة العلم بالدين، أو على حد تعبير الحديث: الفقه فى الدين، والواقع أن الفقه فى الدين أخص وأعمق من مجرد العلم بالدين، فالعلم معرفة بالظاهر فحسب، والفقه معرفة بالظاهر واللب معاً، والعلم يتصل أكثر ما يتصل بالعقل وحده، والفقه بالعقل والقلب جميعاً.

ولهذا فإنّ مجرد العلم بالأحكام الشرعية الجزئية كأحكام الطهارة والنجاسة والرضاع والطلاق والبيع والشراء كما هو فى مدلول الفقه فى اصطلاح الخلف لا ينشىء الفقه المراد فى الحديث، والذى هو دليل على إرادة الله الخير بصاحبه.

ويقول الصحابى الجليل معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ فى بيان فضل العلم ومكانة العلماء: «تعلموا العلم؛ فإنّ تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنيس فى الوحدة، والصاحب فى الخلوة، والدليل على الدين، والنصير على السراء

---

(١) هذا الإذن محمول على الأخبار المسكوت عنها عندنا، فليس عندنا ما يصدقها ولا مايكذبها، فيجوز روايتها للاعتبار، فأما ما شهد له شرعنا بالصدق، فلا حاجة بنا إليه استغناء بما عندنا، وماشهد له شرعنا بالبطلان، فذلك مردود لا تجوز حكايته إلا على سبيل الإنكار والإبطال، وانظر ما قاله العلامة ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ فى البداية والنهاية ٧,٦/١ وتفسير القرآن العظيم ٤/١ و ١٤١، وج ٢ ص ٢٧٥، وج ٣ ص ١٨١ و ٣٦٦ و٤١٦.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ج ٦ ص ٣٦١.

(٣) الترمذى برقم (٢٦٨٦) وهو صحيح.

والضراء، والوزير عند الأخلاء، والقريب عند القرباء، ومنار سبيل الجنة، يرفع الله به أقواماً، فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم، أدلة فى الخير تقتفى آثارهم، وترمق أفعالهم، وترغب الملائكة فى خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، وكل رطب ويابس يستغفر لهم، حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البحر وأنعامه، والسماء ونجومها.

إلى أن قال:

به يطاع الله، وبه يعبد، وبه يوحد، وبه يمجد، وبه يتورع، وبه توصل الأحام، وبه يعرف الحلال والحرام، وهو إمام والعمل تابعه، ويلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء[1].

وسئل ابن المبارك: من النّاس؟ فقال: العلماء. قيل: فمن الملوك؟ قال: الزهاد.

قال الغزالى: ولم يجعل غير العالم من النّاس؛ لأن الخاصية التى يتميز بها النّاس عن سائر البهائم هى العلم، فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله، وليس ذلك بقوة شخصه (جسمه) فإنّ الجمل أقوى منه، ولا بعظمه، فإنّ الفيل أعظم منه، ولا بشجاعته، فإنّ السبع أشجع منه، ولا بأكله، فإنّ الثور أوسع بطناً منه، ولا ليجامع؛ فإنّ أخس العصافير أقوى على السفاد منه، بل لم يخلق إلا للعلم[2].

العلم قبل العمل:

العلم فى الإسلام أولاً، والعمل يأتى فى المرتبة التالية له، وهذا ما فهمه كبار علماء الإسلام، من خلال مؤلفاتهم، وعلى رأس هؤلاء العلماء الأجلاء الإمام البخارى ـ رحمه الله تعالى ـ

---

(١) انظر: جامع بيان العلم، لابن عبد البر النمرى ج ١ ص ٧٠ وقد روى هذا الأثر بالإضافة إلى ابن عبد البر: أبو نعيم، والخطيب البغدادى، موقوفا على معاذ، ورفعه بعضهم ولا يصح، قال ابن القيم: وحسبه أن يصل إلى معاذ.

(٢) راجع: إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ج ١ ص ٧.

ورد فى صحيح البخارى «باب العلم قبل القول والعمل».

قال ابن المنير: أراد به أن العلم شرط فى صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما، مصحح للنية المصححة للعمل، فنبه المصنف (يعنى البخارى) على ذلك، حتى لا يسبق إلى الذهن ـ من قولهم: إن العلم لا ينفع إلا بالعمل ـ تهوين أمر العلم والتساهل فى طلبه»[1].

والآيات فى هذا المعنى كثيرة، استدل البخارى ببعضها تأييداً لما ذهب إليه، من هذه الآيات قول الحق جل شأنه:

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[2].

فبدأ بالعلم، وثنى بالعمل، ورأس العلم معرفة الله تعالى وتوحيده، والخطاب وإن كان للنبى ـ ﷺ ـ فهو متناول لأمته[3].

وقال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[4].

أى: إنما يخاف الله ـ عز وجل ـ ويقدره حق قدره من عرفه، وعلم عظيم قدرته، وسلطانه على خلقه نتيجة التأمل فى أسرار كونه وشرعه، وهم العلماء. وهذه الخشية هى التى تحفز على عمل الصالحات واجتناب السيئات.

وقال النبى ـ ﷺ ـ: «من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين»[5].

---

(١) راجع: صحيح البخارى، بشرحه فتح البارى ج ١ ص ١٦٩ طبعة الحلبى.

(٢) سورة القتال، الآية: ١٩.

(٣) انظر: الرسول والعلم ص ١٧.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه انظر فتح البارى ج ١ ص ١٩٦ وتقدم تخريجه.

وذلك لأنه إذا فقه عمل وأحسن ما عمل، وأدنى درجات الفقيه ـ كما يقول الإمام الغزالى: «أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا، وهذه المعرفة إذا صدقت وغلبت عليه برىء بها من النفاق والرياء».[1]

ومما يشهد لهذا ويؤيده ما رواه زيد بن أسلم: أن النبى ـ ﷺ ـ دفع رجلاً إلى رجل يعلمه، فعلمه حتى بلغ

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[2]

فقال الرجل: حسبى، فقال الرجل (أى: المعلم): يا رسول الله، أرأيت الرجل الذى أمرتنى أن أعلمه؟ لما بلغ:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾

فقال: حسبى.

فقال النبى ـ ﷺ ـ: «دعه فقد فقه»[3].

وبهذه الآثار يتبين لنا أن العلم شرط ضرورى للعمل؛ لكى يصح ويستقيم على أمر الله، سواء كان هذا العمل عبادة لله، أم معاملة للنّاس.

روى سفيان بن عيينة عن عمر بن عبد العزيز، قال: من عمل فى غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح[4].

فالعبادة لا ترفع إلى الله ولا يقبلها إلا إذا توفرت شروطها وأركانها التى تقوم

---

(١) راجع: إحياء علوم الدين للغزالى ج١ ص ٥.

(٢) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ ، ٨.

(٣) أخرجه عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبى حاتم كما ورد فى الدر المنثور ج ٦ ص ٣٨١، ٣٨٢.

(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: ج ١ ص ٢٣.

عليها، ومما يؤيد هذا ما ورد من أحاديث نبوية شريفة توضح أن العمل لا يقبل عند الله تعالى إذا فقد شرطاً واجباً؛ ولهذا قال الرسول الكريم ـ ﷺ ـ للرجل الذى أساء صلاته ولم يؤد لها حقها من الطمأنينة: «ارجع فصل، فإنك لم تصل»[1] وإنما قال له: «لم تصل» مع أنه أدى الصلاة أمامه؛ لأنَّ صلاته منقوصة مبتورة فهى كالعدم.

ولفظ الحديث كما فى الصحيحين وغيرهما :

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة، فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها» أخرجه السبعة، واللفظ للبخارى، ولابن ماجه بإسناد مسلم «حتى تطمئن قائماً»[2].

والعلم يحتاج إليه الإنسان فى المعاملات وشئون الحياة عامة: شخصية وأسرية واجتماعية، يجب أن يعرف فيها الصحيح من الفاسد والحلال من الحرام، حتى لا يتورط فى الحرام وهو لا يدرى، والجهل بالأحكام فى دار الإسلام ليس عذراً.

---

(١) والمسىء صلاته: هو خلاد بن رافع ـ رضى الله عنه، انظر: سبل السلام، شرح بلوغ المرام ج ١ ص ٣٣١ وسيأتى هذا الحديث وتخريجه فى الصفحة التالية إن شاء الله تعالى.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الأذان، باب (١٢٢) أمر النبى ـ ﷺ ـ الذى لا يتم ركوعه بالإعادة، حديث رقم (٧٩٣) ج ٢ ص ٢٧٦، ٢٧٧. ومسلم فى كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة، حديث (٣٩٧) ج ١ ص ٢٩٨.، وأبو داود فى (كتاب الصلاة) باب صلاة من لا يقيم صلبه فى الركوع والسجود، حديث رقم (٨٥٦) ج ١ ص ٢٢٦، والترمذى فى (أبواب الصلاة) باب ما جاء فى وصف الصلاة، حديث رقم (١٣٠٣) ج ٢ ص ١٠٣، ١٠٤، والنسائى ج ٢ ص ١٢٥ فى (الافتتاح) باب القول الذى يفتتح به الصلاة. وأورده الأمير الصنعانى فى سبل السلام ج ١ ص ٢٣١ حديث (٢٥٠) .

فما كان من الحلال بيناً فلا جناح عليه فى فعله أو تركه، وما كان من الحرام بيناً فلا عذر له فى ارتكابه، وما كان من المشتبهات التى «لا يعلمهن كثير من الناس» فالحزم أن يدع ما يريبه إلى مالا يريبه.

روى الترمذى عن الحسن بن على ـ رضى الله عنهما ـ قال: حفظت من رسول الله ـ ﷺ ـ: «دع ما يريبك إلى مالا يريبك» وقال الترمذى: حديث حسن صحيح[1].

معناه: اترك ما تشك فيه، وخذ مالا تشك فيه.

وعن النعمان بن بشير ـ رضى الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «إن الحلال بين، وإنّ الحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من النّاس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإنّ لكل ملك حمى، ألا وإنّ حمى الله محارمه، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله: ألا وهى القلب» متفق عليه[2]. ورورياه من طرق بألفاظ متقاربة[3].

ويقول بعض أهل العلم فى قوله ـ ﷺ ـ:[4] «وإذا صلح القلب ـ والمراد به القوة المدركة ـ بالإيمان والعلم الصحيح، صلح الجسد كله بالأعمال والأخلاق والأحوال، وإذا فسد القلب بالجحود والشك فسد الجسد كله بالفجور، ولهذا يجب

---

(١) انظر سنن الترمذى حديث رقم (٢٥٢٠) وأخرجه أحمد فى مسنده ج ١ ص ٢٠٠ وإسناده صحيح، وصححه ابن حبان (٥١٢) وهو قطعة من حديث ذكر فيه قنوت الوتر «اللهم اهدنى فيمن هديت...»

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ج ١ ص ١١٦ و ج ٤ ص ٢٤٩، ومسلم فى صحيحه برقم (١٥٩٩).

(٣) وأورده النووى فى رياض الصالحين ص ٢٨٨ حديث رقم ١/ ٥٨٨.

(٤) انظر: تعليق الأستاذ شعيب الأنؤوط على هذا الحديث، هامش رياض الصالحين ص ٢٨٨.

على الإنسان أن يعلم قبل أن يعمل، وفى البخارى: باب العلم قبل العمل: قال الله تعالى:

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ (١).

وعن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ وجد تمرة فى الطريق، فقال: «لولا أنى أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها» متفق عليه(٢).

وعن أبى سروعة ـ بكسر السين المهملة وفتحها ـ عقبة بن الحارث ـ رضى الله عنه ـ أنه تزوج ابنة لأبى إهاب بن عزيز، فأتته امرأة فقالت: إنى قد أرضعت عقبة والتى قد تزوج بها، فقال لها عقبة: ما أعلم أنك أرضعتنى ولا أخبرتنى، فركب(٣) إلى رسول الله ـ ﷺ ـ بالمدينة، فسأله، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «كيف، وقد قيل؟» ففارقها عقبة ونكحت زوجاً غيره(٤).

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: كان لأبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشىء، فأكل منه أبو بكر، فقال الغلام: تدرى ما هذا؟ فقال أبو بكر: وماهو؟ قال كنت تكهنت لإنسان فى الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا خدعته، فلقينى، فأعطانى بذلك هذا الذى أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شىء فى بطنه، رواه البخارى(٥).

قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى: والذى يظهر أن أبا بكر إنما قاء لما ثبت عنده من النهى عن حلوان الكاهن، أى: ما يأخذه على كهانته، والكاهن: من يخبر بما سيكون من غير دليل شرعى.

---

(١) سورة القتال، الآية: ١٩.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ج ٥ ص ٦٣، ومسلم برقم (١٠٧١).

(٣) أى: من مكة إلى المدينة.

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ج ١ ص ١٦٧ و ج ٥ ص ١٩٧، ١٩٨.

(٥) انظر: صحيح البخارى ج ٧ ص ١١٧.

«الخراج»: شيء يجعله السيد على عبده يؤديه إلى السيد كل يوم، وباقى كسبه يكون للعبد.

الفهم الدقيق:

ومما يجب على الداعى إلى الله تعالى، أن يفهم النصوص القرآنية والأحاديث النبوية فهماً صحيحاً، وفق دلالات الآيات الكريمة، فى ضوء سياقها، وسبب ورودها، وكذلك ينبغى عليه أن يحسن فهم الأحاديث النبوية فى ضوء ما أشرنا إليه فى فهم القرآن الكريم، ومما هو جدير بالإشارة هنا أن من أراد الفهم الصحيح للأحاديث النبوية الشريفة ينبغى عليه أن يفهمها فى ظلال النصوص القرآنية والأحاديث الأخرى التى صدرت عن المصطفى ـ ﷺ ـ وفى إطار المبادىء العامة، والمقاصد الكلية للإسلام، مع ضرورة التمييز بين ما كان من هذه الأحاديث تشريعاً، وما ليس بتشريع، وما كان منها على سبيل الرسالة، وما لم يجىء كذلك[1].

ومن الأمور العزيزة التى يغفل عنها الكثير من الدعاة إلى الله تعالى مع كثرة الأدلة على ذلك من القرآن الكريم والأحاديث النبوية: الغفلة عن الآخرة، وما فيها من نعيم مقيم وعذاب أليم، فذكر الآخرة وما فيها من أحوال وأهوال يهيج القلب ويزعجه إلى أن يسير فى طريق الله تعالى المستقيم ولا يعوج، ويجعل الإنسان يشعر بغربته فى الدنيا وأنه عما قريب سوف يرحل عنها إلى سفر بعيد لا يرجع بعده إلى الدنيا مرة أخرى، ولا ينفع الإنسان فى سفره إلى هذا إلا زاد واحد وهو تقوى الله ـ عز وجل ـ والخوف من الوقوف بين يدى أحكم الحاكمين، وقد أمرنا الله أن نتزود للدار الآخرة فى قوله تعالى:

﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾[2].

---

(١) راجع: المدخل لدراسة السنة ص ٩٩ د. يوسف القرضاوى.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

فالإنسان ينظر إلى ما يؤول إليه أمره بعد سفره الطويل البعيد: أيكون مصيره إلى نار جهنم، وفى ذلك شقاؤه العظيم، أم يكون مصيره فى دار النعيم بجوار ربه الكريم؟ إنه لهذه العاقبة المجهولة يكون دائماً بين الخوف والرجاء، ولكنه خوف العارف لا الجاهل، ورجاء العامل لا الخامل[1].

أساس الفهم الدقيق تدبر معانى القرآن الكريم:

إن تدبر القرآن ودراسته ينبغى أن تختلف عن دراسة غيره من الكتب البشرية؛ ذلك لأن هذا الكتاب إنما أنزل ليعمل به النّـاس، وليحكم حياة المسلمين، والعمل به مفتقر إلى فهمه وتدبره[2].

وذكر ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ أن السلف الصالح كانوا يسيرون على هذا المنهج:

كانوا يتدبرون القرآن ويفهمونه مستعينين بتبيين النبى ـ ﷺ ـ الذى بين لفظه ومعناه لهم، وأنهم كانوا يعملون به.. وأورد تلك الآثار المشهورة.. من أن الصحابة من أمثال عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ وعبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ وغيرهما كانوا إذا تعلموا من النبى ـ ﷺ ـ عشر آيات يتوقفون فلا يجاوزونها إلى غيرها حتى يعلموا، فتعلموا القرآن علماً وعملا جميعاً.

قال ابن كثير: (.. قال عبد الله بن مسعود: «والذى لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت. ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله منى تناله المطايا لأتيته»[3].

---

(١) راجع: أصول الدعوة ص ٣٢٨.

(٢) راجع: بحوث فى أصول التفسير ص ٨٣ الدكتور / محمد بن لطفى الصباغ.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣.

وقال الأعمش: عن أبي وائل عن ابن مسعود قال: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن»[1].

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ـ ﷺ ـ وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً»[2].

ومن هنا ندرك مدلول الخبر الذى نقل عن واحد من الصحابة وهو عبد الله بن عمر أنه حفظ سورة البقرة فى ثمانى سنوات[3].

وروى عن مالك بن أنس: «أنه بلغه أن عبد الله بن عمر مكث على سورة البقرة ثمانى سنين يتعلمها»[4].

ولقد وردت آيات كثيرة فى كتاب الله تعالى تدعو كلها إلى تدبر القرآن وفهمه، فمن ذلك قول الحق ـ جل شأنه ـ:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[5].

ومنها قوله تعالى:

---

(١) هو عبد الله بن مسعود الهذلى أحد السابقين الأولين إلى الإسلام، شهد بدراً والمشاهد كلها. توفى بالمدينة سنة ٣٢ وانظر هذين الأثرين فى مقدمة تفسير الطبرى تحقيق أحمد محمد شاكر ج ١ ص ٨٠.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣.

(٣) انظر: تفسير القرطبى ج ١ ص ٣٩، ٤٠.

(٤) انظر: موطأ الإمام مالك ج ١ ص ١٠٥ طبعة فؤاد عبد الباقى، باب ماجاء فى القرآن.

(٥) سورة ص ، الآية: ٢٩.

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[1]

وقوله ـ جل شأنه ـ فى سورة محمد:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

وهذا التدبر خطوة للعمل به. قال جل شأنه:

﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[3].

وعلى هذا السنن جرى سلفنا الصالح، ففهموا الكتاب العزيز، ودرسوه وعملوا به، بل كانوا لا يجاوزون آية إلى أخرى حتى يعملوا بما فيها، فتعلموا العلم والعمل جميعا[4].

والمراد من «التدبر» النظر فى معانى آيات القرآن ومعرفة ما فيها من أحكام وحكم وتطبيقها فى واقع الحياة.

وقال الزجاج: «التدبر» النظر فى عاقبة الشىء و «الدبر» النحل، سمى دبراً؛ لأنه يعقب ما ينتفع به، و «الدِّبْر» المال الكثير، سمى دِبْراً لكثرته، لأنه يبقى للأعقاب، والأدبار.

---

(١) سورة النساء، الآية ٨٢.

(٢) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٣) سورة الزمر، الآيتان: ١٧ ، ١٨.

(٤) انظر: مقدمة تفسير الطبرى ط، شاكر ج ١ ص ٣٤.

وقال ابن عباس: أفلا يتدبرون القرآن، فيتفكرون فيه، فيرون تصديق بعضه لبعض، وأن أحداً من الخلائق لا يقدر عليه[1].

إن تلاوة القرآن الكريم بتدبر وإمعان تعرف المسلم بالله تعالى، والطريق الموصل إليه ـ جل شأنه ـ وجزاء التمسك بهذا الكتاب العزيز من الكرامة وحسن الثواب فى الآخرة، والثناء العطر على المتمسك بالقرآن الكريم.

كما تعرفه فى مقابل ذلك ثلاثة أمور ينبغى عليه أن يحذرها وهى:

١ـ ما يدعو إليه الشيطان وحزبه.

٢ـ معرفة الطريق الموصلة إلى الشيطان.

٣ـ جزاء المستجيب لدعوة الشيطان من الإهانة والعذاب.

إن هذه المعرفة ضرورية للداعى؛ لأنها تجعله وكأنه يعيش فى الآخرة، وإن كان هو فى الدنيا، وتميز له بين الحق والباطل فى كل ما اختلف فيه النّـاس، فتريه الحق حقاً، والباطل باطلاً، وتعطيه فرقاناً ونوراً يفرق به بين الهدى والضلال والغى والرشاد، وتعطيه قوة فى قلبه وحياة وسعة وانشراحاً وبهجة وسروراً وتعلقا بالآخرة،وعزوفاً عن الدنيا، فيصير هو فى شأن والنّـاس فى شأن آخر.[2]

شروط الفهم الدقيق :

الفهم العميق والدقيق له شروط كثيرة، ويمكن الإشارة هنا إلى أهمها، ويتلخص ذلك فى أمرين وهما:

الأول: فهم الداعى غايته فى الحياة ومركزه بين البشر.

الثانى: تجافيه عن دار الغرور وتعلقه بالآخرة.

---

(١) انظر: زاد المسير فى علم التفسير ج ٢ ص ١٤٤.

(٢) انظر مدارج السالكين لابن القيم ج ١ ص ٤٥٢.

أما بالنسبة للأمر الأول وهو: ما هى غاية الإنسان فى الحياة؟ وهل وراء هذه الغاية غاية أخرى.؟

فإذا نظرنا فى كتاب الله تعالى نجد آيات القرآن الكريم ـ إجابة على هذا السؤال ـ قسمت الناس إلى صنفين:

الصنف الأول: أشار إليه القرآن الكريم فى قول الله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾[1]

فهؤلاء الكفار يجعلون غايتهم الأكل والشرب والتمتع بملاذ الجسد، وليس وراء هذه الغاية عندهم غاية أخرى، وهؤلاء هم شرار الخلق عند الله تعالى.

فقوله تعالى:

﴿ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ ﴾

أى: أن الأنعام تأكل وتشرب، ولا تدرى ما فى غد، فكذلك الكفار لا يلتفتون إلى الآخرة. و«المثوى»: المنزل[2].

فهؤلاء أشد ضلالاً من البهائم التى لا تعقل، كما قال الله ـ جل شأنه ـ :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[3]

وهذا الصنف من النّاس مركزهم بين البشر هو الإضلال والإفساد ونشر

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٢.

(٢) زاد المسير فى علم التفسير ج ٧ ص ٤٠٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

المنكرات، والدعوة للتخلى عن القيم والأحكام الإلهية، ومآل هذا الصنف ومن تبعهم النار، كما قال ـ جل شأنه ـ:

﴿ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾[1]

الصنف الثانى: وهم الذين عرفوا الحقيقة والغاية، وقد أدركوا هذا من قول الله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2].

فعرفوا من هذه الآية أنهم خلقوا إلا لعبادة الله تعالى، وأن مآلهم ومصيرهم إلى الله ـ جل جلاله ـ أخذاً من قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾[3]

فغايتهم عبادة الله وحده، ومنها الجهاد فى سبيله والدعوة إليه، وعمارة الأرض بفعل الخير، وهداية الحيارى إلى الحق.

كما يجب على الداعى المسلم ألا يشغل نفسه بحب الدنيا؛ فإن التعلق بالدنيا والركون إليها يؤدى إلى فساد القلب، وقد حذرنا الله تعالى من الاغترار بالدنيا فى قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾[4]

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) سورة الانشقاق، الآية: ٦.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٥.

فإذا تخلص الداعى إلى الله تعالى من التعلق بالدنيا وأفرغ ما فى قلبه من سمومها، وأقبل على الله، ووضع الدار الآخرة أمام عينيه أحس بغربة شديدة فى الدنيا، ولكن مع خفة فى روحه وإقبال شديد على ما يرضى الله تعالى، وعلى رأس ذلك الدعوة إلى دين الله عز وجل، وهداية العباد وإرشادهم إلى ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم، وفى سبيل ذلك سوف يذلل الصعاب والعقبات مهما واجهته فى طريقه، ويستعذب الألم والمشقات من أجل الله تعالى، وسيكون النصر حليفه والتوفيق رائده. تصديقا لقول الله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[1].

ومهمة المسلم فى الحياة وغايته فيها، عبادة الله وحده، وجهاده فى سبيله: يجاهد نفسه حتى يحملها على الطاعة ويبعدها عن المعصية، ويجاهد بقلمه ولسانه وماله ويده فى سبيل الله حتى تعلو كلمة الله ويستنير البشر بنور الإسلام، وقد اختار الله تعالى لهذه المهمة الخطيرة المسلمين، يقول البارىء ـ جل شأنه ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ ۖ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾[2]

الإيمان الراسخ:

مما يعين الداعى على أداء مهمته على أكمل وجه إيمانه الراسخ، والعميق بأن الإسلام الذى أكرمه الله به هو حق خالص، وما عداه باطل وضلال، قال ـ جل شأنه ـ:

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٢) سورة الحج، الآيتان: ٧٧، ٧٨.

﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾[1].

والداعى المسلم لا تميل نفسه إلى الباطل ولا إلى الأهواء؛ لأن فى ذلك ضياع الإيمان.

قال ـ جل شأنه ـ:

﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[2].

وهذا الفهم العميق قائم على العلم القطعى بأحقية الإسلام فى تنظيم علاقة الإنسان بالله تعالى، وبالكون الذى يعيش فيه، وإن كذب بذلك الضالون المبطلون.

فالمسلم الداعى إلى الله تعالى يدفعه إيمانه الراسخ فى قلبه إلى العمل من أجل الإسلام، ولا يمكن له أن يتأثر أو يضعف، أو يزول لأى سبب خارجى مهما كان نوعه، لأنه ليس من الذين قال الله فيهم:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾[3].

فهذا شأن المنافق أو ضعيف الإيمان المرتاب، كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: « هو المنافق إن صلحت له دنياه أقام على العبادة،وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب، فلا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه فإن أصابته فتنة أو شدة أو اختبار أو ضيق ترك دينه ورجع إلى الكفر»[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٦.

(٣) سورة الحج، الآية: ١١.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٩.

ولا يضعف إيمان الداعى انصراف الناس عنه، وعدم إجابتهم له؛ فقد لبث نوح ـ عليه السلام ـ كما أخبرنا الله عنه:

﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾[1].

ولم يؤمن له إلا القليل، كما لا يدل انصراف الناس عنه على أنه مقصر فى دعوته مادام قد أفرغ جهده، فالتقصير يعرف ـ إن وجد ـ من قلة ما يقدمه الداعى للدعوة، لا من عدم إجابة المدعو[2].

وفى قصة نوح ـ عليه السلام ـ تسلية للنبى ـ ﷺ ـ حيث أعلم أن الأنبياء قد ابتلوا قبله، وفيها وعيد شديد لمن أقام على الشرك؛ فإنهم وإن أمهلوا فقد أمهل قوم نوح أكثر، ثم أخذوا[3].

واختلف المفسرون فى عمر نوح على خمسة أقوال :

أحدها: بعث بعد أربعين سنة، وعاش فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم، وعاش بعد الطوفان ستين سنة، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس.

قال السيوطى[4]: أخرج ابن أبى شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال:

بعث الله نوحاً وهو ابن أربعين سنة، ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا.

والثانى: أنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد ذلك سبعين عاماً، فكان مبلغ عمره ألف سنة وعشرين سنة، قاله كعب الأحبار.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ١٤.

(٢) راجع: أصول الدعوة ص ٣٣٤.

(٣) زاد المسير فى علم التفسير ج ٦ ص ٢٦١.

(٤) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٥ ص ١٤٣.

• والثالث: أنه بعث وهو ابن خمسين وثلاثمائة، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاثمائة، قاله عون بى أبى شداد[1].

والرابع: أنه لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلاثمائة سنة [**ودعاهم ثلاثمائة سنة**][2].

والخامس: أن هذه الآية بينت مقدار عمره كله، حكاه الماوردى[3].

نتائج هذا الإيمان :

إن لهذا الإيمان آثاراً فى حياة الداعى إلى الله تعالى نشير إليها على سبيل الإجمال وهى:

١ـ المحبة: ـ ونعنى بها محبة العبد لربه؛ فهى من ثمرات الإيمان العميق الذى يقوم على المعرفة اليقينية بالله تعالى؛ لأن من عرف ربه أحبه، وحب المسلم لله تعالى يمتد إلى ما يحبه المحبوب جل جلاله، ولهذا يحب المسلم الرسول ـ ﷺ ـ لأنه حبيب الله ورسوله إلى الناس، ومبلغهم رسالة الإسلام، وكذلك يحب المسلم القرآن الكريم، وسنة الرسول ـ ﷺ ـ لأن عليهما مدار الشريعة الإسلامية، وكذلك يحب المؤمنين؛ لأنهم عباد الله الذين استجابوا لله تعالى فى القرآن، واستجابوا لرسوله ـ ﷺ ـ فى سنته، وهؤلاء هم الذين وجدوا حلاوة الإيمان، كما يشير إلى ذلك الحديث النبوى الشريف، حيث يقول الرسول الكريم ـ ﷺ ـ :

«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما

---

(١) قال ابن كثير ج ٣ ص ٣٠٠عن هذا القول: غريب، رواه ابن أبى حاتم، وابن جرير، انظر تفسير ابن جرير ج ١٣ ص ٤٩.

(٢) قال ابن كثير ج ٣ ص ٣٠١: هذا قول غريب، وظاهر السياق من الآية أنه مكث فى قومه يدعوهم إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاماً.

(٣) قال ابن كثير ٣/ ٣٠١: وقول ابن عباس أقرب، والله أعلم، يريد به القول الأول هنا، وانظر هذه الأقوال جميعاً فى زاد المسير ج ٦ ص ٢٦١ ، ٢٦٢.

سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار»[1].

ويقول ـ ﷺ ـ: «لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»[2].

وهذه الروايات كلها من رواية أنس وأبى هريرة ـ رضى الله عنهما ـ وفى رواية عبد الله بن هشام عند أحمد[3] والبخارى[4] أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال: يا رسول الله لأنت أحب إلى من كل شىء إلا من نفسى، إلا من نفسى، فقال النبى ـ ﷺ ـ: «والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه» فقال عمر: فإنه الآن لأنت أحب إلى من نفسى، فقال النبى ـ ﷺ ـ: «الآن ياعمر» واللفظ لأحمد.

فمحبة الله تعالى، ومحبة الرسول ـ ﷺ ـ متوقفة على اتباع ماجاء به الرسول ـ ﷺ ـ وقد جاء فى الحديث القدسى: «إنما بعثتك لأبتليك وأبتلى بك»[5].
والحب كما يستلزم طاعة الله ورسوله، يستلزم أموراً أخرى جاءت الإشارة إلى بعضها

---

(١) أخرجه البخارى: فى (كتاب الإيمان): ج ١ ص ١١، ١٢ و (كتاب الإكراه): ج ٩ ص ٢٥. ومسلم: فى (كتاب الإيمان) ج ١ ص ٦٦، والنسائى فى (كتاب الإيمان): ج ٨ ص ٩٤ ـ ٩٦. والترمذى: فى (كتاب الإيمان) ج ٥ ص ١٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه: ج ٢ ص ١٣٣٨.

(٢) أخرجه البخارى: فى (كتاب الإيمان) ج١ ص ١٠. ومسلم: (كتاب الإيمان) ج ١ ص ٦٧. والنسائى: فى (كتاب الإيمان) ج ٨ ص ١١٤، ١١٥ وابن ماجه: ج ١ ص ٢٦ وأحمد ج ٣ ص ١٧٧، ٢٠٧، ٢٧٥، ٢٧٨.

(٣) انظر: مسند أحمد ج ٤ ص ٣٣٦.

(٤) انظر: صحيح البخارى (كتاب الإيمان): ج١ ص ١٦١.

(٥) أخرجه مسلم فى (كتاب الجنة) ج ٤ ص ٢١٩٧ من حديث طويل عن عياض ابن حمار المجاشعى.

فى الآيات الكريمة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾[1]

وقوله جل شأنه:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[2].

ويمكن أن نأخذ من هاتين الآيتين لوازم محبة المسلم له تعالى، وهى ما يلى:

أولا: أذلة على المؤمنين، فالمسلم رقيق شفيق على أخيه المسلم، والداعى وهو يدعو أخاه المسلم إلى ما يرضى الله، وله فى رسول الله أسوة حسنة حينما وصفه الله تعالى بقوله الحق:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[3]

ولقد وصف الله تعالى رسوله الكريم وصحابته الأجلاء بأعظم الأوصاف، فقال تعالى:

﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾

الآية[4].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

ثانياً: ـ العزة على الكفار: وجاءت الإشارة إلى هذه الصفة فى قول الله ـ جل شأنه ـ:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾[1]

فالمؤمن لا يهين للكفار لا ظاهراً ولا باطناً.

ثالثا: الجهاد فى سبيل الله: ويعنى ذلك جهاد النفس الدائم حتى تستقيم وتثبت على طاعة الله، وجهاد العدو حتى يصد خطره، وجهاد الدعوة إلى الله حتى يتم التبليغ والتبيين ويتيسر للناس سبل الهداية، ولا يمنعه من ذلك حبه لأهله وولده وماله خوفاً من قول الحق، قال جل شأنه:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2]

رابعاً: ـ لا يخاف فى الله لومة لائم، فالداعى إلى الله تعالى لا يرده عما هو فيه من طاعة الله والدعوة إليه، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لا يرده عن ذلك راد، ولا يصده عن ذلك صاد، ولا يمنعه من ذلك لوم اللائمين ولا عذل العاذلين[3].

خامساً: متابعة الرسول ـ ﷺ ـ فى هديه فى جميع أحواله بالإضافة إلى طاعة أمره والابتعاد عما نهى عنه

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٠.

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (١).

ومما يعين الداعى على أداء مهمته أولا: معرفته بسنة الرسول ـ ﷺ ـ وسيرته فى الدعوة إلى الله تعالى: منذ أن بعثه الله تعالى وإلى أن انتقل إلى جوار ربه الكريم.

ثانيا: ومن ثمرات الإيمان الراسخ الخوف من الله تعالى: وهو رأس الحكمة؛ لأن من عرف الله خافه، ومن خافه لم يخف أحداً من النّـاس، وخافه النّـاس.

ثالثاً: ومن نتائج هذا الإيمان الراسخ، الرجاء وعدم القنوط من رحمة الله؛ لأن الله تعالى وعد عباده المؤمنين فى القرآن الكريم بأنه لن يتخلى عنهم، ومنعهم من القنوط، فيحمله ذلك على طاعة الله، ومنها الدعوة إلى دين الله تعالى.

رابعاً: ومن ثمرات هذا الإيمان الراسخ التوكل على الله وحده، فالداعى المسلم يثق فى الله ويتوكل عليه فى جميع أموره، لأنه يصدق بقول الله تعالى:

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾(٢).

والتوكل على الله وحده من أعظم أركان الدعوة إلى الله ـ جل شأنه ـ لأنّ الداعى يحتاج إلى نصر الله وتوفيقه وتأييده لإعلاء كلمته وجهاد أعدائه، فقال تعالى حكاية عن موسى وهارون:

﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (٣).

وهذه المعية هى النصر والتأييد، غير مقصورة على أنبيائه ورسله المتوكلين عليه فى

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٣) سورة طه، الآيتان: ٤٥ ، ٤٦.

تبليغ رسالاته، وإنما هى شاملة لعباده المتقين، لا سيما الدعاة منهم إلى عبادة الله وتوحيده وتطبيق شرعه فى كل شأن من شئون الحياة [1].

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الله تعالى لن يتخلى عن عباده أهل التقوى والإحسان، فقال ـ جل شأنه ـ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[2].

* * *

(١) راجع أصول الدعوة، ص ٣٤٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

الفصل الرابع

أخلاق الداعى

وردت آيات كريمة فى كتاب الله تعالى تتحدث عن أخلاق المسلم والصفات التى يجب أن يتحلى بها، كما حملت إلينا دواوين السنة عدداً كبيراً من أحاديث الرسول الكريم ـ ﷺ ـ وهى تتحدث عن مكانة الأخلاق فى الإسلام ودرجة أصحابها عند الله تعالى: وقربهم من المصطفى ـ ﷺ ـ .

إنما الأمم الأخـــلاق مـــا بقـــيت فإن همـــوا ذهبـــت أخلاقهـــم ذهبوا

وإذا كانت الأ خلاق هى المقياس لرقى الأمم وحضارتها وبقائها كما قال الشاعر والمسلم مطلوب منه التمسك بأكمل الأخلاق وأفضلها، ومن باب أولى يجب على الداعى المسلم أن يتقيد بالأخلاق الكريمة فى القرآن الكريم والسنة المشرفة، وما كان عليه الصحابة الكرام من كمال الأخلاق.

قال الله تعالى فى وصف أخلاق الرسول الكريم ـ ﷺ ـ:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] .

وقال تعالى فى وصف المتقين:

١ـ سورة ن، الآية: ٤ .

﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.[1]

وعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: «كان رسول الله أحسن النّاس خلقاً» متفق عليه[2].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ قال: لم يكن رسول الله ـ ﷺ ـ فاحشا ولا متفحشاً، وكان يقول: «إنّ من خياركم أحسنكم أخلاقاً» متفق عليه[3].

وروى الترمذى عن عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله ـ فى تفسير حسن الخلق قال: هو طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى[4].

وقد ذكرنا بعض أخلاق الداعى المسلم فيما تقدم من خلال فصول هذا الكتاب، ولكن نشير هنا إلى جملة من الأخلاق التى ينبغى على الداعى أن يتصف بها، وهى تتمثل فى الآتى :

أولا ـ الصدق :

فالصدق خلق إسلامى فاضل، دعا إليه القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة قال ـ جل شأنه ـ آمراً المؤمنين بتقوى الله، وأن يكونوا مع الصادقين من عباده:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[5].

وقال تعالى فى وصف المؤمنين والمؤمنات الذين أعد لهم مغفرة عظيمة وجنة

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٣٤.

(٢) أخرجه البخارى ج ١٠ ص ٤٨٠. ومسلم برقم (٢١٥٠).

(٣) أخرجه البخارى ج ١٠ ص ٣٧٨. ومسلم برقم (٢٣٢١) والترمذى (١٩٧٦) وأحمد ج ٢ ص ١٦١.

(٤) انظر: رياض الصالحين ص ٣٠٢.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

عرضها السموات والأرض:

﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ﴾[1].

كما وردت طائفة منيرة من أحاديث الرسول الكريم ـ ﷺ ـ وهى تتحدث عن الصدق، وتبين مكانة الصادقين، وحسن الجزاء الذى ينتظرهم يوم يقوم النّاس لرب العالمين، ونذكر طرفاً من هذه الأحاديث لتبين خلق الصدق ومدى عناية الرسول الكريم ـ ﷺ ـ به من هذه الأحاديث:

١ـ ما رواه عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «إنّ الصدق يهدى إلى البر، وإنّ البر يهدى إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإنّ الكذب يهدى إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا» متفق عليه[2].

٢ ـ عن أبى سفيان صخر بن حرب ـ رضى الله عنه ـ فى حديثه الطويل فى قصة هرقل، قال هرقل: فماذا يأمركم ـ يعنى النبى ﷺ ـ قال أبو سفيان: قلت: يقول: « اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم،[3] ويأمرنا بالصلاة، والصدق والعفاف، والصلة» متفق عليه[4] إلى غير ذلك من الأحاديث.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٢) أخرجه البخارى ج ١٠ ص ٤٢٣، ومسلم برقم (٢٦٠٧)، وأبو داود برقم (٤٩٨٩)، والترمذى برقم (٩٧٢) وأورده النووى فى رياض الصالحين ص ٦٦.

(٣) أى: ما يقوله آباؤكم، وهى كلمة جامعة لترك جميع ما كانوا عليه فى الجاهلية.

(٤) أخرجه البخارى ج ١ ص ٣٠، ٤١. ومسلم برقم (١٧٧٣)، وأحمد ٢٦٢/١، ٢٦٣. وقوله: «والصدق» هذه رواية للبخارى فى بدء الوحى، وله فى رواية: «الصدقة» قال الحافظ ابن حجر ورجحها شيخ الإسلام، ويقويها رواية البخارى فى التفسير، وكذا مسلم «الزكاة» واقتران الصلاةبالزكاة معتاد فى الشرع، ويرجحها أيضاً فى الحديث أنهم كانوا يستقبحون الكذب، فذكر ما لم يألفوه أولى.

وحقيقة الصدق: حصول الشيء وتمامه وكمال قوته واجتماع أجزائه. هكذا يقول العلامة ابن قيم الجوزية[1]: ويكون فى القصد والقول والعمل، ومعناه فى القصد: كمال العزم وقوة الإرادة على السير إلى الله وتجاوز العوائق، ويكون ذلك بالمبادرة إلى أداء ما افترضه الله عليه، وفى مقدمته الجهاد فى سبيله، ومنه الدعوة إلى الله، والصدود عن كل معوق أو مثبط، والانصراف عنهم، والنفرة منهم؛ لأنهم أناس فى غفلة يعيشون، ولا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا، ذلك مبلغهم من العلم، وهو فى حقيقته: الجهالة والهوى، والحقيقة أن قلب الصادق شديد الحساسية لا يحتمل هؤلاء المثبطين؛ ولهذا فهو يضيق بهم، ولا يستطيع مجاورتهم ولا مصاحبتهم ولا مجالستهم. إنه ينشرح صدره ويهش لمن يشوقه إلى الإسراع فى سيره إلى الله والدعوة إليه، أما صدق القول فمعناه: نطق اللسان بالحق والصواب، فلا ينطق بالباطل: أى باطل كان. ويكون الصدق فى الأعمال بأن تكون وفق المناهج الشرعية، والمتابعة لرسول الله ـ ﷺ ـ وإذا ما تحقق للمسلم الصدق فى القول والقصد والعمل أدى به ذلك إلى درجة أخرى فى الصديقية وهى التى أمر الله عباده المؤمنين بطلبها، موجهاً ـ جل جلاله ـ الخطاب إلى رسوله الكريم ـ ﷺ ـ:

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾[2]

ومعنى مدخل الصدق ومخرجه أن يكون دخول المسلم فى أى شيء ومباشرته لأى عمل وخروجه منه وتركه له بالله ولله، بمعنى أن أفعاله وتروكه موصلة بالله وموصلة إليه مستعيناً على أدائها بالله، ومقصوده مرضاة الله، فغايته هى الله وحده:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾[3]

---

(١) انظر: مدارج السالكين ج ٢ ص ٢٨١، ٢٨٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٠

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

فإذا بلغ المسلم هذه الدرجة من الصديقية لم يعد فى نظره غرض مقبول لرغبته فى الحياة إلا إذا كان بقاؤه فيها وسيلة لمرضاة الله، فإذا فاته هذا الغرض أو لم يستطعه رغب عن الحياة وأحب الموت[1].

روى عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: «لولا ثلاث لما أحببت البقاء، لولا أن أحمل على جياد الخيل فى سبيل الله، ومكابدة الليل، ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب التمر» ويريد الإمام عمر بهذه الثلاث التى ذكرها:

الجهاد والصلاة والعلم النافع. وكلها ترضى الرب عز وجل[2].

إن نجاح الأمم فى أداء رسالتها يعود إلى ما يقدمه بنوها من أعمال صادقة، فإذا كانت ثروتها من صدق العمل كبيرة سبقت سبقاً بعيداً، وإلا سقطت فى عرض الطريق، فإن التهريج والخبط، والادّعاء والهزل؛ لا تغنى فتيلاً عن أحد[3].

والداعى الصادق يظهر أثر صدقه فى وجهه وصوته، فقد كان الرسول الكريم ـ ﷺ ـ يتحدث إلى من لا يعرفونه فيقولون: والله ما هو بوجه كذاب ولا صوت كذاب[4].

ومن الأمور المشاهدة فى سلوك الدعاة أن أثر الصدق يظهر على وجه الداعى، وصوته يؤثر فى المخاطب وينفذ إلى أعماق قلبه، ويحمله ذلك على قبول قوله واحترامه، إلا إذا كان عمى القلب قد بلغ منه مبلغاً عظيماً.

وصدق الرسول المصطفى الكريم إذ يقول :

---

(١) راجع: أصول الدعوة ص ٣٤٧.

(٢) انظر: مدارج السالكين ج ٢ ص ٢٨١، ٢٨٢.

(٣) راجع: خلق المسلم: للشيخ/ محمد الغزالى ص ٤٤.

(٤) راجع: تذكرة الدعاة للبهى الخولى، ص ٦٥.

«عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً.. وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدى إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»[1].

إن الفجور الذى هدى إليه إدمان الكذب هو المرحلة الأخيرة لضعة النفس، وضياع الإيمان.

روى مالك عن ابن مسعود: «لا يزال العبد يكذب، ويتحرى الكذب، فينكت فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه، فيكتب عند الله من الكذابين»[2].

ويحق به قول الحق ـ جل شأنه ـ:

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾[3]

وأما البر الذى هدى إليه الصدق، فهو قمة الخير التى لا يرقى إليها إلا أولوا العزم من الرجال؛ وحسبك فيه هذه الآية الجامعة:

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[4]

(١) أخرجه البخارى ١٠ / ٤٢٣، ومسلم (٢٦٠٧) وأبو داود (٤٩٨٩) والترمذى (١٩٧٢).
(٢) أخرجه مالك فى الموطأ، وأخرج نحوه الشيخان؛ البخارى ١٠/ ٤٢٣ ومسلم (٢٦٠٧).
(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

ثانيا ـ الصبر:

الصبر أبرز الأخلاق القرآنية التى عنى بها القرآن الكريم فى سوره المكية والمدنية، وهو أكثر خلق تكرر ذكره فى الكتاب العزيز.

ورد عن الإمام أحمد فيما ينقله عنه العلامة ابن القيم فى (مدارج السالكين) قوله: الصبر فى القرآن فى نحو تسعين موضعا[1].

وكذلك ينقل أبو طالب المكى فى (قوت القلوب) عن بعض العلماء، قوله: أى شىء أفضل من الصبر، وقد ذكره الله تعالى فى كتابه فى نيف وتسعين موضعا؟

ولا نعلم شيئاً ذكره الله تعالى هذا العدد إلا الصبر[2].

والصبر فى اللغة: الحبس والكف. ومنه قتل فلان صبراً: إذا أمسك وحبس[3].

ومنه قوله تعالى:

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[4]

أى: احبس نفسك معهم.

ويقابل الصبر: الجزع. كما فى قوله تعالى على لسان أهل النار:

﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾[5].

وهو فى القرآن يعنى: حبس النفس على ما تكره،؛ ابتغاء مرضاة الله، كما فى قول الله تعالى:

---

(١) راجع: مدارج السالكين ج ٢ ص ٤٣.

(٢) انظر: قوت القلوب ج ١ ص ١٩٧.

(٣) الصبر فى القرآن ص ٨.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٢١.

﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾.[1]

ضرورة الصبر للدعاة إلى الله تعالى :

فالقرآن الكريم عنى بالصبر عناية كبيرة لما له من قيمة كبيرة دينية وخلقية، فليس هو من الفضائل الثانوية أو المكملة، بل هو ضرورة لازمة للإنسان ليرقى ماديا، ويسعد فردياً واجتماعيـاً، فلا ينتصر دين ولا تنهض دنيا إلا بالصبر.

فالصبر ضرورة دنيوية كما هو ضرورة دينية.

فلا نجاح فى الدنيا ولافلاح فى الآخرة إلا بالصبر فى الدنيا؛ لا تتحقق الآمال ولا تنجح المقاصد، ولا يؤتى عمل أكله إلا بالصبر. فمن صبر ظفر، ومن عدم الصبر لم يظفر بشيء.

لولا صبر الزارع على بذره ما حصد، ولولا صبر الغارس على غرسه ما جنى، ولولا صبر الطالب على درسه ما تخرج، ولولا صبر المقاتل فى ساح الوغى ما انتصر، ولولا صبر الدعاة على مشاق الدعوة ما بلغوا دين الله إلى النّـاس.

وهكذا كل الناجحين فى الدنيا إنما حققوا آمالهم بالصبر.

وإذا كان الصبر ضرورة لازمة لأهل الإيمان، فهو أكثر لزوماً للدعاة إلى الله تعالى؛ لأنهم يقومون بمهمة الرسل الكرام ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ وعليهم يقع العبء الأكبر فى المحافظة على عقائد الأمة الإسلامية بعيدة عن الشرك والوثنية، والمحافظة على شعائر الأمة وأخلاقها وأعمالها، ولهم فى رسول الله الكريم ـ ﷺ ـ أسوة حسنة فى صبره وتحمله المشاق فى سبيل نشر الإسلام.

من أجل ذلك وردت آيات كثيرة فى القرآن الكريم تأمر الرسول ـ ﷺ ـ بالصبر فى مواضع عدة، كلها ـ عند التحقيق ـ فى القرآن المكى.

والسبب فى ذلك أن العهد المكى هو عهد الاضطهاد والفتنة، وقلة الصبر،

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٢.

وضعف الأتباع. فقد كانوا ـ كما وصفهم القرآن الكريم ـ قليلا مستضعفين فى الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس، قال ـ جل شأنه ـ :

﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[1]

من أجل هذا كثرت أوامر الله لرسوله بالصبر، حتى تكرر فى عشرين موضعا من كتاب الله، بعضها بصيغة (اصبر) وهى ثمانى عشرة، واثنتان بصيغة (اصطبر)[2].

نذكر بعضها على سبيل المثال فيما يلى، قال الله تعالى:

﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[3]

وقوله تعالى:

﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾[4]

وقوله ـ جل شأنه ـ :

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾[5]

ولم يأمر الله رسوله ـ ﷺ ـ بالاقتداء بأسلافه من الرسل فى خلق معين إلا فى الصبر، تنبيهاً على عظم منزلته، وشدة الحاجة إليه، ومشقته على النفس.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٦.

(٢) راجع تفاصيل ذلك فى: الصبر فى القرآن. د. يوسف القرضاوى ص ٢١ وما بعدها.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٠٩.

(٤) سورة طه، الآية: ١٣٠.

(٥) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

وقوله ـ جل شأنه ـ:

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ ﴾[1]

وفى هذه الآية الوجيزة تربية وتقوية وتسلية وترضية للنبى ـ ﷺ ـ من عدة وجوه: فهو مأمور بالصبر لحكم ربه. وهو سبحانه لا يحكم إلا بالحق والعدل، وهو أحكم الحاكمين، وخير الحاكمين.

ولطيفة أخرى فى هذه الآية، وهى قوله:

﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ ﴾

ومن كان بعين الله وبمرأى منه وملحظ فلن يغلب ولن يضيع.

ونظير هذه الآية قوله تعالى لموسى:

﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾[2]

ولكن الملاحظ أن العبارة هنا جاءت بالجمع، جمع العين (أعين) وهو ضمير المتكلم «بأعيننا» وفى ذلك زيادة فى التثبيت والتأسيس.

وأمر ثالث فى هذه الآية وهو قوله:

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾

وقد أعقب الأمر بالتسبيح الأمر بالصبر فى جملة آيات، ولعل السر فى ذلك أن التسبيح يعطى الإنسان شحنة روحية تحلو بها مرارة الصبر، ويشرح بها ضيق الصدر[3]. وفى مثل هذه الآية الكريمة جاء قوله تعالى:

---

(١) سورة الطور، الآية: ٤٨.

(٢) سورة طه، الآية: ٣٩.

(٣) راجع الصبر فى القرآن ص ٢٤.

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[1]

كما وردت أحاديث كثيرة تتحدث عن الصبر وأجر الصابرين، نذكر منها على سبيل المثال ما يلى :

١ـ عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: كأنى أنظر إلى رسول الله ـ ﷺ ـ يحكى نبيًا من الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم من وجهه، يقول: «اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون» متفق عليه[2].

وللدعاة إلى الله تعالى أسوة حسنة فى هؤلاء الرسل الكرام فى تحمل المشاق فى سبيل أن يبلغوا دعوة الله إلى الناس، ولا يصدهم عن ذلك ما يصدر عن من يدعونهم، وأنه ما يصيبهم من نصب ولا وصب ولا هم إلا كفر الله بها من سيئاتهم ورفع من درجاتهم. وبهذا ورد الحديث الشريف:

٢ـ عن أبى سعيد وأبى هريرة ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال:

«ما يصيب المسلم من نصب[3] ولا وصب ولاهم ولا حزن ولا أذى ولاغم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر بها من خطاياه» متفق عليه[4].

و«الوصب» :المرض.

---

(١) سورة الحجر، الآيات: ٩٧ ـ ٩٩.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ج ١٢ ص ٢٤٩. ومسلم برقم (١٧٩٢).

(٣) «النصب» بفتحتين: التعب. وفى الحديث أنَّ الأمراض ونحوها من المؤذيات التى تصيب المؤمن مطهرة من الذنوب، وأنه ينبغى للإنسان ألا يجمع على نفسه بين المرض أو الأذى مثلاً وبين تفويت الثواب.

(٤) أخرجه البخارى ج ١٠ ص ٩١، ومسلم برقم (٢٥٧٣).

٣ـ ويقول النبى ـ ﷺ ـ: «إنَّ عِظَمَ الجزاء مع عِظَمِ البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط»[١] رواه الترمذى وقال: حديث حسن.

ابتلاء الدعاة إلى الله تعالى:

يقول الله تعالى:

﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾[٢]

فالابتلاء لابد منه، وحتى يجتازه المؤمن بنجاح فلابد من الصبر، حتى يتميز الخبيث من الطيب، والمؤمن من المنافق، قال ـ جل شأنه ـ:

﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾[٣]

وقال تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[٤]

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه برقم (٢٣٩٨)، وفى الباب عن عبد الله بن مغفل عند الطبرانى والحاكم، وعن عمار بن ياسر عند الطبرانى، وعن أبى هريرة عند ابن عدى، فالحديث صحيح بهذه الشواهد، وأورده النووى فى رياض الصالحين ص ٦١.

(٢) سورة العنكبوت الآيات: ١ ـ ٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

وإذا كان الابتلاء سنة من سنن الله فى الحياة، فإن ابتلاء الدعاة إلى الله مما جرت به السنة الإلهية أيضاً، فهم يبتلون بأذى الكفرة والمارقين بالقول والكيد واليد.

قال تعالى مخاطباً لرسولنا الكريم ـ ﷺ ـ:

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[1]

وقال ـ جل شأنه ـ:

﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[2].

ومعنى يستخفنك[3]: يحملونك على الخفة والطيش بعد الصبر، والدعاة إلى الله يكيد لهم أهل الباطل ويفترون عليهم الكذب، ويؤذونهم بأنواع الأذى؛ لأنهم قوم يجهلون وضالون ولقد أوذى الرسول ﷺ أشد الأذى حينما جهر بالدعوة إلى الله تعالى، كما اشتدت المعاداة له ولأصحابه.

أما رسول الله ـ ﷺ ـ فقد لاقى من إيذاء المشركين أنواعاً كثيرة، من ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: بينا النبى ـ ﷺ ـ يصلى فى حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبى ـ ﷺ ـ وقال:

أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله؟[4]

ومنه ما روى عبد الله بن عمر قال: بينا النبى ـ ﷺ ـ ساجد وحوله ناس من قريش، وجاء عقبة بن أبى معيط بسلى جزور فقذفه على ظهر النبى ـ ﷺ ـ فلم

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٤.

(٢) سورة الروم، الآية: ٦٠.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٧٠.

(٤) رواه البخارى فى صحيحه. وانظر: فقه السيرة، د. سعيد رمضان البوطى ص ٧١.

يرفع رأسه، فجاءت فاطمة ـ رضى الله عنها ـ فأخذته من ظهره، ودعت على من صنع ذلك[1].

ومنها ما جاء عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: كنت أمشى مع النبى ـ ﷺ ـ وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية، فأدركه أعرابى، فجبذه[2] بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبى ـ ﷺ ـ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك، فالتفت إليه، فضحك، ثم أمر له بعطاء. متفق عليه[3].

ومثل ذلك ما روى عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: كأنى أنظر إلى رسول الله ـ ﷺ ـ يحكى نبيّاً من الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون» متفق عليه[4].

ومن هذا ما روى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت للنبى ـ ﷺ ـ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى، فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل ـ عليه السلام ـ فنادانى فقال :

إنّ الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فنادانى ملك الجبال، فسلم على ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثنى ربى إليك لتأمرنى بأمرك،

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه.

(٢) الجبذة: الجذبة. والصفحة: الجانب، والعاتق: ما بين العنق والكتف. انظر مختار الصحاح ص ٩١ وص ٣٦٤ وص ٤١١.

(٣) أخرجه البخارى ج ١٠ ص ٢٣٤ و ٤٢٠ و ٤٢١ ومسلم برقم (١٠٥٧).

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ج ١٢ ص ٢٤٩، ٢٥٠. ومسلم برقم (١٧٩٢).

فما شئت؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين» فقال النبى ـ ﷺ ـ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً» متفق عليه[1].

«الأخشبان» الجبلان المحيطان بمكة.. والأخشب: هو الجبل الغليظ[2].

وأما أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ فقد تجرع كل منهم ألواناً من العذاب، حتى مات منهم من مات تحت العذاب وعمى من عمى، ولم يثنهم ذلك عن دين الله شيئاً. ويطول البحث لو أردنا أن نعدد ألوان العذاب التى لقيها كل منهم[3]. ويكفى أن نذكر هنا ما أورده الإمام البخارى فى صحيحه؛ فقد أخرج بسنده عن أبى عبد الله خباب بن الأرت ـ رضى الله عنه ـ قال: شكونا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟! فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه وعظمه، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لايخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون» رواه البخارى[4].

وفى رواية: «وهو متوسد بردة وقد لقينا من المشركين شدة».

وخلاصة القول: مما ينبغى على الداعى المسلم ملاحظته هو ما يأتى:

أولا ـ أن يدعو إلى الله تعالى على بصيرة بالوسائل والكيفيات المشروعة التى بينها

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ج ٦ ص ٢٢٤، ٢٢٥ ومسلم برقم (١٧٩٥).

(٢) راجع: رياض الصالحين ص ٣٠٥.

(٣) انظر: ما لقى رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه من المشركين فى سيرة ابن هشام، أو تهذيب السيرة، وكتاب نور اليقين للخضرى، وغيرها من كتب السيرة.

(٤) انظر: صحيح البخارى ج ٦ ص ٤٥٦ و ج ٧ ص ١٢٦ وأخرجه أبو داود برقم (٢٦٤٩) والنسائى ج ٨ ص ٢٠٤.

القرآن الكريم، واشتملت عليها أحاديث رسولنا الكريم ـ ﷺ ـ فإذا أدت هذه الوسائل إلى أذى يصيب الداعى فعليه أن يقابل هذا الأذى بالصبر لا بالجزع.

ثانيا ـ إذا استطاع الداعى المسلم أن يبتعد عن الأذى فلا مانع من ذلك، ويكون هذا بحسب ظروفه وأحواله التى يعيش فيها.

ثالثا ـ لا ينبغى للمسلم أن يتعرض لما لا يطيقه من البلاء، فيرسب فى الامتحان، يوضح هذا ما أورده الإمام المقريزى[1] من أن الرسول ـ ﷺ ـ قال: «لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه. قالوا: كيف يذل نفسه يا رسول الله؟ قال: يتحمل من البلاء مالا يطيق» لأن إيذاء أهل الباطل للمؤمنين غير مطلوب قطعاً، بل هو من سيئات أهل الباطل؛ لأنه إيذاء لأهل الحق، فكيف يسوغ تسليم المسلم نفسه للمبطل يؤذيه ويهينه ويذله؟ ألا يكون فى هذا التسليم إعانة على وقوع ما يسخط الله تعالى، وإلقاء للنفس فى التهلكة والمهانة والذلة؟ وكل هذا قد نهى عنه القرآن الكريم، قال ـ جل شأنه ـ

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[2].

رابعا ـ إذا وقع الضرر والأذى على الداعى المسلم بالرغم من التزامه بالسير المشروع فى الدعوة إلى الله فعليه أن يستعين بالله ويصبر الصبر الجميل، وليعلم أن هذا ما كتبه الله عليه وقدره، فليكثر من الدعاء والتضرع إلى الله تعالى ليكشف عنه ما وقع به من أذى، وليردد قول الله تعالى:

﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾[3].

---

(١) انظر: إمتاع الأسماع ص ٣٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٣) سورة الطور، الآيتان: ٤٨ ، ٤٩.

ثالثا ـ الرحمة :

الصفة الثالثة من صفات الداعى المسلم: الرحمة وهى من الصفات الضرورية لمن يريد النجاح فى دعوته إلى الله تعالى.

والرحمة فى أفقها الأعلى وامتدادها المطلق صفة المولى تباركت أسماؤه؛ فإن رحمته شملت الوجود وعمت الملكوت، فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكل شىء أشرق معه شعاع للرحمة الغامرة؛ ولذلك كان من صلاة الملائكة له:

﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾[1]

فالرحمة تجعل الداعى يرق لانحرافات الخلق ويسعى لإزالتها، ويأسى لأخطائهم فيتمنى لهم الهدى[2].

ولقد أراد الله أن يمتن على العالم برجل يمسح آلامه ويخفف أحزانه، ويرثى لخطاياه، ويستميت فى هدايته، فأرسل ـ سبحانه وتعالى ـ رسوله وحبيبه محمداً ـ ﷺ ـ وسكب فى قلبه من العلم والحلم، وفى خلقه من الإيناس والبر، وفى طبعه من السهولة والرفق، وفى يده من السخاوة والندى، ما جعله أزكى عباد الله رحمة، وأوسعهم عاطفة، وأرحبهم صدراً[3].

ولذلك قال الله فيه:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[4]

---

(١) سورة غافر، الآية: ٧.

(٢) راجع: خلق المسلم، محمد الغزالى، ص ٢١٦.

(٣) المصدر السابق ص ٢١٧ بتصرف.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

وقوله ـ جل شأنه ـ:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[1]

وتتمثل مظاهر هذه الرحمة المحمدية فى دلالته لأمته على ما يبعدهم عن النار، وقد ورد هذا فى قوله ـ ﷺ ـ: «إنما مثلى ومثل أمتى كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيه»[2].

وصدق الله الكريم إذ يقول فى بيان مهمة رسولنا الكريم:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[3].

قال ابن عباس: هذا عام للبر والفاجر، فمن آمن به تمت له الرحمة فى الدنيا والآخرة، ومن كفر به صرفت عنه العقوبة إلى الموت والقيامة.

وقال ابن زيد: هو رحمة لمن آمن به خاصة[4].

ورحمته ـ ﷺ ـ شملت المؤمن والكافر كما ذهب إلى ذلك حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ويؤيده فيما فسر به الآية الكريمة ما ورد فى الحديث الصحيح عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين، قال: «إنى لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة»[5].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) الحديث أخرجه البخارى من طريق أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة (٩٩/١٤) وأخرجه مختصراً فى الأنبياء (٢٧٤/٧) وأخرجه مسلم من نفس الطريق، ومن طريق معمر عن همام (٤٩/١٥) ومن طريق سعيد بن مينا عن جابر (٥٠/١٥) وأخرجه أبو الشيخ الأصبهانى فى كتاب الأمثال ص ١٦٤، ١٦٥.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٤) راجع: زاد المسير فى علم التفسير ج ٥ ص ٣٩٨.

(٥) أخرجه مسلم فى صحيحه ج ٤ ص ٢٠٠٧.

وروى الدارمى عن أبى صالح مرسلاً قال: كان النبى ـ ﷺ ـ يناديهم يقول: «يا أيها النّـاس إنما أنا رحمة مهداة»[1] وقد وصله الحاكم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه وصححه، ووافقه الذهبى[2].

ويؤيد ذلك ما ذكره العلامة ابن كثير: من رواية الطبرانى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله تعالى:

﴿ ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾

قال: من تبعه كان له رحمة فى الدنيا والآخرة، ومن لم يتبعه عوفى مما كان يبتلى به سائر الأمم من الخسف، والمسخ، والقذف»[3].

ضرورة الرحمة للداعى:

الرحمة ـ كما ذكرنا ـ من أهم الصفات التى يجب أن يتحلى بها الداعى المسلم؛ فقلب الداعى ينبض بالرحمة والشفقة على الناس وإرادة الخير لهم، ومن شفقته عليهم دعوتهم إلى الإسلام؛ لأن فيه نجاتهم من النار وفوزهم برضوان الله تعالى، وأنه يحب لهم ما يحب لنفسه، وله فيما ذكرنا من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ـ ﷺ ـ الدلائل الواضحة على مدى تمسك الرسول ـ ﷺ ـ بصفة الرحمة كما وصفه ربه ـ جل وعلا ـ وكذلك ما ورد فى قصص الأنبياء الذين تقدم ذكرهم فى هذا الكتاب ما يبين مدى تمسكهم بالرحمة والشفقة على الناس جميعاً، قال ـ جل شأنه ـ حكاية عن نوح ـ عليه السلام:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[4]

---

(١) أخرجه الدارمى فى سننه ج١ ص٩.

(٢) انظر: المستدرك على الشيخين للحاكم ج١ ص٣٥.

(٣) راجع: تفسير ابن كثير ج٣ ص ٢٠٢.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٥٦.

فقوله ـ عليه السلام ـ:

﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾

لا يصدر إلا عن قلب رحيم وشفقة ظاهرة عليهم.

وكان من خلق رسولنا الكريم ـ ﷺ ـ الرحمة، فما كان يغضب لنفسه إلا أن تنتهك حرمات الله تعالى.

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: ما ضرب رسول الله ـ ﷺ ـ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد فى سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم لله تعالى.[1]

والداعى المحروم من الرحمة الغليظ القلب لا ينجح فى عمله، ولا يقبل الناس عليه، وإن كان ما يقوله حقّاً وصدقاً، هذه طبيعة النّاس ينفرون من الغليظ الخشن القاسى، وهذا ما جاء فى القرآن الكريم:

﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾.

الآية[2].

ولقد وجه النبى ـ ﷺ ـ أصحابه إلى الرحمة بإخوانهم المؤمنين، ونهاهم عما يؤدى إلى مشقة وعنت حتى فى جانب أداء العبادة.

فقد روى البخارى وغيره عن أبى مسعود عقبة بن عمرو البدرى ـ رضى الله عنه ـ قال:

جاء رجل إلى النبى ـ ﷺ ـ فقال: إنى لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه برقم (٢٣٢٨) وأحمد فى مسنده ج ٦ ص ٣٢ ، ٣٨١.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٥٩.

مما يطيل بنا، فما رأيت النبى ـ ﷺ ـ غضب فى موعظة قط أشد مما غضب يومئذ؛ فقال: «ياأيها الناس: إن منكم منفرين، فأيكم أمّ النّاس فليوجز[1]، فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة»[2].

وما دام الداعى المسلم يعامل من يدعوهم إلى الله تعالى بالرحمة والشفقة عليهم، ويعفو ويصفح عما يبدر منهم من سلوك يسىء إليه؛ فإنه سينجح فى دعوته وشعاره فى حق نفسه قول الله تعالى:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾.[3]

فالرحمة دليل على كمال الأخلاق فى الداعى المسلم، وهى من أثقل الحسنات فى ميزان العبد يوم القيامة.

عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ: أن النبى ـ ﷺ ـ قال: «ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق؛ وإن الله يبغض الفاحش البذى» رواه الترمذى[4] وقال: حديث حسن صحيح.

وله شاهد من حديث عائشة عند أحمد والترمذى والحاكم بلفظ: «إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله»[5].

---

(١) وفى البخارى: «فليتجوز» أى: فليقتصر مع إتمام الأركان والسنن.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخارى ج ١٠ ص ٤٣٠، ومسلم برقم (٤٦٦)، وأحمد فى مسنده ج ٤ ص ١١٨، ١١٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٤) انظر الترمذى فى سننه برقم (١١٦٢) وأخرجه أحمد ٤٥٠/٢ و ٤٧٢ وسنده حسن، وصححه ابن حبان برقم (١٣١١)

(٥) أخرجه أحمد فى مسنده ج ٦ ص ٤٧ والترمذى برقم (٢٦١٥) والحاكم فى المستدرك ج ١ ص ٥٣.

ومن أوضح الأمثلة على عناية الإسلام بالرحمة وأن من لم يكن فى قلبه رحمة لخلق الله تعالى ربما يدخل النار إن مات على هذه الحالة؛ لأنه حرم نفسه من رحمة الله عز وجل.

فإذا نظرنا مثلا إلى حديث «الهرة» وما جاء من عقوبة على تعذيبها حتى ماتت.

فقد روى الإمام أحمد، عن علقمة، قال: كنا عند عائشة، فدخل أبو هريرة فقالت: أنت الذى تحدث: أن امرأة عذبت فى هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تسقها؟ فقال: سمعته منه ـ يعنى النبى ﷺ ـ فقالت: هل تدرى ما كانت المرأة؟ إنّ المرأة مع ما فعلت كانت كافرة، وإنّ المؤمن أكرم على الله ـ عز وجل ـ من أن يعذبه فى هرة، فإذا حدثت عن رسول الله ـ ﷺ ـ فانظر كيف تحدث[1].

أنكرت عائشة أم المؤمنين على أبى هريرة تحديثه بهذا الحديث بصيغته وحسبت أنه لم يضبط لفظه حين سمعه من النبى ـ ﷺ ـ.

وحجة عائشة أنها تستكثر أن يعذب إنسان مؤمن من أجل هرة؛ وأن المؤمن أكرم على الله من أن يدخله النّـار من أجل حيوان أعجم.

وغفر الله لعائشة، لقد غفلت عن شىء هنا فى غاية الأهمية، وهو ما يدل عليه العمل؛ إن حبس الهرة حتى الموت جوعاً، لهو برهان ناصع على جمود قلب تلك المرأة وقسوتها على مخلوقات الله الضعيفة، وأن أشعة الرحمة لم تنفذ إلى حناياها. ولا يدخل الجنة إلا رحيم، ولا يرحم الله إلا الرحماء، فلو رحمت من فى الأرض لرحمها من فى السماء[2].

---

(١) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ج ١ ص ١٩ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح أما دخول المرأة النار بسبب حبس الهرة فقد رواه عن أبى هريرة الشيخان وغيرهما. انظر: صحيح الجامع الصغير برقم (٣٣٧٤).

(٢) راجع: المدخل لدراسة السنة النبوية، د. يوسف القرضاوى، ص ١١٣.

فعلى الدعاة إلى الله تعالى أن يتقوا الله ـ عز وجل ـ ويتكلفوا الرحمة والرفق إن لم يكونوا رحماء حتى يكتسبوها ويألفوها؛ لأن من فقد صفة الرحمة فهو غير جدير بالدعوة إلى الإسلام، وعليه أن يترك هذا المجال لمن هو أقدر منه، ولينصرف لعلاج نفسه في ضوء آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول الكريم ـ ﷺ ـ وليتذكر قول أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: «كان رسول الله ـ ﷺ ـ أحسن النّاس خلقاً» متفق عليه[1].

رابعاً ـ التواضع:

من الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعي المسلم التواضع وخفض الجناح لمن يدعوهم إلى الله تعالى، وقد عنى القرآن الكريم والأحاديث النبوية بهذا الخلق الكريم، وبينت الآيات والأحاديث ماله من فضل كبير، ونتائج دينية وأخرى دنيوية، قال الله تعالى مخاطباً رسولنا الكريم ـ ﷺ ـ:

﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾[2].

وخفض الجناح: مثل للمعاملة باللين والتواضع.

يقول العلامة ابن عاشور[3]:

خفض الجناح: تمثيل للرفق والتواضع بحال الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع خفض جناحه يريد الدنو، وكذلك يصنع إذا لاعب أنثاه، فهو راكن إلى المسالمة والرفق، أو الذي يتهيأ لحضن فراخه، وفي ضمن هذه التمثيلية استعارة مكنية، والجناح تخييل.

---

(١) أخرجه البخاري ج ١٠ ص ٤٨٠، ومسلم برقم (٢١٥٠).

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥.

(٣) انظر التحرير والتنوير ج ١٤ ص ٨٢، ٨٣ و ج ١٥ ص ٦٧، ٦٨ و ج ١٨ ص ٢٠٢، ٢٠٣.

وقد شاعت هذه التمثيلية حتى صارت كالمثل فى التواضع واللين فى المعاملة، وضد ذلك رفع الجناح تمثيل للجفاء والشدة.

ومن شعر العلامة الزمخشرى يخاطب من كان متواضعاً فظهر منه تكبر :

وأنت الشهير بخفض الجناح ... فلاتك فى رفعه أجدلا.[1]

ومن الآيات التى وردت فى القرآن الكريم تأمر بخفض الجناح قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[2].

وقوله تعالى فى الأمر بالإحسان إلى الوالدين وبرهما :

﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[3]

ويقول ـ جل شأنه ـ :

﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾[4].

أى: لا تشهدوا لها أنها زكية بريئة من المعاصى. وقيل: لا تمدحوها بحسن أعمالها.

وفى سبب نزول هذه الآية قولان:

أحدهما: أن اليهود كانوا إذا هلك لهم صبى قالوا: صديق، فنزلت هذه الآية. هذا

(١) انظر تفسير الزمخشرى (الكشاف) فى تفسير الآية ٢١٥ من سورة الشعراء.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٨٨.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٤.

(٤) سورة النجم، الآية: ٣٢.

قول عائشة رضى الله عنها[1].

والثانى: أن ناساً من المسلمين قالوا: قد صلينا وصمنا، ويزكون أنفسهم، فنزلت الآية، قاله مقاتل[2].

قوله تعالى:

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾﴾

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: عمل حسنة وارعوى عن معصية، قاله على ـ رضى الله عنه.

والثانى: أخلص العمل لله، قاله الحسن.

والثالث: اتقى الشرك فآمن، قاله الثعلبى[3].

كما وردت أحاديث كثيرة فى سنة رسول الله ـ ﷺ ـ تأمر بالتواضع وتحث عليه، وتبين جزاءه، منها ما يأتى:

١ـ عن عياض بن حمار رضى الله عنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى[4] أحد على

---

(١) رواه الواحدى فى أسباب النزول ص ٢٢٦ عن ثابت بن الحارث الأنصارى وفى سنده ابن لهيعة، وذكره السيوطى فى الدر المنثور ج ٦ ص ١٢٨ وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى، وأبى نعيم فى «المعرفة» وابن مردويه، عن ثابت بن الحارث الأنصارى، وأورده ابن الجوزى فى زاد المسير ج ٨ ص ٧٧.

(٢) راجع زاد المسير، لابن الجوزى، ج ٨ ص ٧٧.

(٣) انظر هذه الأقوال الثلاثة فى المصدر السابق ٧٧/٨.

(٤) أى: لا يعتدى عليه.

أحد»[1].

٢- وعن أبى هريرة رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» رواه مسلم[2].

٣- وعن أنس - رضى الله عنه - أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال: «كان النبى - ﷺ - يفعله» متفق عليه[3].

ولقد كان النبى - ﷺ - يصبر على جفاء الغريب وما يبدر منه ويتواضع لمن يعلمه مما جعل لهذا المنهج أبلغ الأثر فى نفوس الناس، وهذا يوضحه الحديث الشريف:

٤- عن أبى رفاعة تميم بن أسيد - رضى الله عنه - قال: انتهيت إلى رسول الله - ﷺ - وهو يخطب، فقلت: يا رسول الله، رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدرى ما دينه؟ فأقبل على رسول الله - ﷺ - وترك خطبته حتى انتهى إلى، فأتى بكرسى فقعد عليه، وجعل يعلمنى مما علمه الله، ثم أتى خطبته، فأتم آخرها. رواه مسلم[4].

فالتواضع من أخلاق العلماء العاملين :

فالداعى الحق لا يركبه الغرور، ولا يستبد به العجب؛ لأنه يدرك بيقين أن العلم

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه برقم (٢٨٦٥) و (٦٤) وذكره النووى فى رياض الصالحين ص ٢٩٤.

(٢) انظر صحيح مسلم برقم (٢٥٨٨) وذكروا فى معنى قوله: «ما نقصت صدقة من مال» وجهين أحدهما: أن عدم النقصان فى المال عائد إلى الدنيا بالبركة فيه ودفع المضرات عنه، والثانى: أنه عائد إلى الآخرة بالثواب والتضعيف.

(٣) انظر: صحيح البخارى ج ١١ ص ٢٧، وصحيح مسلم برقم (٢١٦٨) (١٥).

(٤) راجع: صحيح مسلم حديث رقم (٨٧٦).

بحر لا شطآن له، ولا يصل أحد إلى قراره ، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[1].

كما يعلم الداعى المسلم أن قافلة العلماء الدعاة إلى الله تعالى مديدة طويلة، ضاربة فى أغوار الماضى موصولة بالحاضر، ممتدة فى المستقبل، وليس هو إلا واحداً منها، فلا ينبغى له أن يغمط فضل السابقين أو ينكر جهد اللاحقين[2].

ذم الغرور :

جاء فى الحديث ذم أولئك المدعين المغرورين المنتفخين بما قرأوا، أو حصلوا من علم. ولو كانوا علماء حقّاً لعرفوا قدر أنفسهم وأنهم لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً، بل أقل من القليل.

عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «يظهر الإسلام حتى تختلف التجار فى البحر، وحتى تخوض الخيل فى سبيل الله، ثم يظهر قوم يقرأون القرآن يقولون: من أقرأ منا؟ من أعلم منا؟ من أفقه منا؟» ثم قال لأصحابه: «هل فى أولئك من خير؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال أولئك منكم: من هذه الأمة، أولئك وقود النّار».[3]

وروى ابن عبد البر بسنده عن عبد الرحمن بن القاسم أنه قال لمالك: ما أعلم

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٢) راجع: الرسول والعلم، د. يوسف القرضاوى، ص ٦٥.

(٣) أورده الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب، حديث رقم (٢٢٩) وقال: رواه الطبرانى فى الأوسط، والبزار بإسناد لا بأس به. ورواه أبو يعلى والبزار والطبرى أيضاً من حديث العباس بن عبد المطلب،. وذكر المنذرى حديثاً آخر عن ابن عباس مرفوعاً يعد شاهداً له. وقال فيه: رواه الطبرانى فى الكبير وإسناده حسن إن شاء الله تعالى.

أحداً أعلم بالبيوع من أهل مصر. فقال له مالك: وبم ذلك قال: بك، قال: فأنا لا أعرف البيوع فكيف يعرفونها بى؟!»[1].

روى مسلم عن أبى هريرة أن النبى ـ ﷺ ـ قال: «إذا سمعت الرجل يقول: هلك النّـاس، فهو أهلكهم»[2].

وذلك إذا دلت حاله على أنه يقول ذلك إعجاباً بنفسه، وتيهاً بعلمه أو عبادته، واستصغاراً لشأن الآخرين وازدراء لما هم عليه.

وقد رويت كلمة «أهلكهم» بضم الكاف وفتحها، ومعناها ـ على الضم ـ أنه أشدهم هلاكا، وأحقهم بالهلاك أو أقربهم إليه؛ لذمه للنّـاس وذكر عيوبهم، وتكبره عليهم.

وأما بالفتح فهو فعل ماض «أهلكهم» أى: جعلهم هالكين لا أنهم هلكوا حقيقة، وأهلكهم؛ لأنه أقنطهم من رحمة الله، وأيأسهم من غفرانه[3].

قال الغزالى: إنما قاله؛ لأن هذا القول يدل على أنه مزدر لخلق الله، مغتر بالله، آمن من مكره، غير خائف من سيطرته وقهره، حيث رأى الناس هالكين ورأى نفسه ناجياً، وهو الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك، ويكفيه شرا احتقار الغير، فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم إياه لله، فهم يتقربون إلى الله بالدنو منه، وهو متمقت إلى الله بالتنزه والتباعد منهم، بأنه يترفع عن مجالستهم، فما أجدره بالهلاك[4].

---

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر النمرى ج ١ ص ١٥٩.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه، ومالك فى الموطأ، وأحمد فى مسنده، والبخارى فى الأدب المفرد، وأبو داود فى سننه.

(٣) راجع الرسول والعلم ص ٦٨.

(٤) راجع: فيض القدير ج ١ ص ٣٧٨، لعبد الرؤوف المناوى.

حاجة الداعى إلى التواضع:

إذا كان المتكبر يستنكف عن مجالسة الصالحين والفقراء والضعفاء بالرغم من أن أحدهم يعدل ملء الأرض من أمثاله، فإن المتواضع يفقه جيدا آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول الكريم ـ ﷺ ـ من مثل قول الحق ـ جل شأنه ـ:

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[1]

ويقول ـ جل شأنه ـ:

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[2]

ومعنى (تصعر خدك للناس) أى: تميله وتعرض به عن الناس تكبرا عليهم.

«والمرح»: التبختر[3].

كما يفقه الداعى المتواضع قول الله لرسوله ـ ﷺ ـ:

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾[4]

ورد فى سبب نزول هذه الآية أن قريشاً قالت للرسول ـ ﷺ ـ: إنا لا نرضى أن

---

(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٨.

(٣) راجع: رياض الصالحين للنووى ص ٢٩٦.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

نكون أتباعاً لهؤلاء من ضعفاء المسلمين مثل صهيب وعمار وبلال وخباب فاطردهم عنك ولا تبقهم فى مجلسك إذا دخلنا عليك، فإذا فرغنا وخرجنا فأدخلهم - إن شئت - فأنزل الله تعالى هذه الآية وأتبعها بآية عن أولئك المتكبرين المتعجرفين الذين طلبوا طرد الضعفاء من مجلس رسول الله قال تعالى[1]:

﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[2]

ويعلم الداعى المسلم المتواضع أن الكبر يحرم صاحبه الجنة ويقطع ميراثه منها قل الكبر أو كثر، وهذا ما ورد به الحديث الصحيح الذى يرويه عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - قال: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة؟ قال: «إن الله جميل يحب الجمال[3] الكبر: بطر الحق وغمط الناس»[4].

بطر الحق: دفعه ورده على قائله، وغمط الناس: احتقارهم.

ومن الأحاديث التى تحذر من الكبر ما رواه أبو هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «قال الله عز وجل: العز إزارى، والكبرياء ردائى، فمن ينازعنى عذبته»[5] إلى غير ذلك من الأحاديث التى وردت فى ذم الكبر[6].

والداعى إلى الله أحوج من غيره إلى خلق التواضع، فهو يخالط الناس ويدعوهم

---

(١) انظر: شمائل الرسول ﷺ - للحافظ ابن كثير، ص ١٠٣ ، ١٠٤.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٣) أى: فليس ذلك من الكبر.

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحة برقم (٩١) وأبو داود حديث رقم (٤٠٩١) والترمزى (١٩٩٩).

(٥) أخرجه مسلم فى صحيحه حديث رقم (٢٦٢٠)، وأبو داود فى سننه حديث رقم (٤٠٩٠).

(٦) راجع فى ذلك رياض الصالحين للإمام النووى ص ٢٩٦ وما بعدها.

إلى الحق وإلى أخلاق الإسلام، فكيف يكون عارياً من التواضع؟! وهو من ركائز الإسلام؟ ثم إن من طبيعة الناس التى جبلهم الله عليها أنهم لا يقبلون قول من يستطيل عليهم ويحتقرهم ويستصغرهم ويتكبر عليهم، وإن كان ما يقوله حقاً وصدقاً.

ومما له صلة بهذا الموضوع أن الناس لا يحبون من يكثر الحديث عن نفسه ويكثر الثناء عليها، ولهذا فعلى الداعى أن يحذر ذلك وألا يدعى شيئاً يدل على تعاليه، كأن ينسب إلى نفسه المزيد من العلم أو الفصاحة أو المعرفة، وليعلم الداعى أن جميع ما عنده هو محض فضل الله عليه، فليتحدث إلى الناس بفضل الله لا بفضل نفسه، فإذا عرف الناس منه ذلك فتحوا له قلوبهم، فيقع كلامه فيها، ولعل الله تعالى ينفعهم بما يسمعون منه، فيكون له بذلك عظيم الأجر وجزيل الثواب من المولى جل شأنه[1].

ومما يفيد الداعى فى عمله وله صلة بخلق التواضع؛ طاعة من أمر الإسلام بطاعته كالأمير، ومن يتولى شئونه أو تعليمه وألا يستنكف عن هذه الطاعة ولا يحس منها بغضاضة، ولا يمنعه منها كبر خفى فى نفسه فيرفضها ويستثقلها أو يتهرب منها بتأويلات فاسدة هى فى حقيقتها من إيحاء الشيطان، كأن يقول: هذا الأمير أو المعلم غير صالح ولا كفء أو صغير أو أنا أعلم منه وأكفأ، أو هذا المعلم لا يصلح للتعليم، ونحو ذلك.

وليضع نصب عينيه تأمير الرسول ـ ﷺ ـ أسامة بن زيد وكان شابّا على جيش كان فيه سادات المهاجرين والأنصار ومشايخهم وكبارهم[2].

يقول أصحاب السير: لما عاد رسول الله ـ ﷺ ـ إلى المدينة المنورة من حجة

(١) راجع: أصول الدعوة ص ٣٦٣.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام، ص ٢٥٧، ٢٥٨ وإمتاع الأسماع للمقريزى ص ٥٣٧.

الوداع[1] أمر المسلمين بالتهيؤ لغزو الروم، واختار رسول الله ـ ﷺ ـ لإمرة هذا الغزو أسامة بن زيد ـ رضى الله عنه ـ وكان ـ رضى الله عنه. شابا حدثا، فأمره ـ ﷺ ـ أن يسير إلى موضع مقتل أبيه زيد بن حارثة، وأن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، وذلك من بدء شكواه ـ ﷺ ـ من مرضه الذى توفى فيه.

ولكن المنافقين راحوا يقولون مستنكرين: أمر غلاماً حدثاً على جلة المهاجرين والأنصار[2] فخرج رسول الله ـ ﷺ ـ إلى الناس وقد عصب رأسه وخطب فيهم قائلاً:

«إن تطعنوا فى إمارة أسامة بن زيد فقد طعنتم فى إمارة أبيه من قبله، وايم الله إن كان لخليقا بها، وايم الله إن كان لأحب الناس إلى، وايم الله إن هذا لها لخليق ـ يريد أسامة بن زيد ـ وايم الله إن كان لأحبهم إلى من بعده؛ فأوصيكم به فإنه من صالحيكم»[3].

وفى هذه القصة دلالات وعبر وأحكام يجب على الداعى أن يأخذ بها؛ اتباعا لما جاء به الرسول الكريم ـ ﷺ ـ والسير على نهج السلف الصالح من الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ ومن تبعهم بإحسان.

هذه بعض أهم الصفات التى يجب أن تتوفر فى كل من يريد الدعوة إلى دين الله تعالى حتى يؤثر فى الناس ويجد القبول عندهم، ويكون لعمله تأثير ظاهر فى

---

(١) خرج النبى ﷺ من المدينة لخمس ليال بقين من ذى القعدة فى العام العاشر من الهجرة، انظر: حديث حجة رسول الله من رواية جابر فى صحيح مسلم ج ٤ ص ٣٧.

(٢) كان أسامة إذ ذاك ابن ثمانى عشرة سنة أو عشرين، أو على اختلاف فى ذلك.

(٣) متفق عليه، واللفظ لمسلم، انظر صحيح مسلم ج ٧ ص ١٣١ وفقه السيرة للبوطى ص ٣٥٤.

حياة المجتمع، وتغيير فى سلوكه من بعض المخالفات إلى الالتزام الكامل بطاعة الله تعالى، واتباع ما جاء به رسوله الكريم ـ ﷺ ـ .

وهناك بعض الصفات التى تدخل ضمن عدة الداعى أمسكت عن الحديث فيها خشية الإطالة، وفى نيتى أن أكتب فيها بحثاً موسعاً أكثر تفصيلا إذا مد الله تعالى فى أجلى وأذن لى بالكتابة فيه

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾[1]

* * *

(١) الآية: ٨٨ من سورة هود عليه السلام.

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وبعد:

فإنه فى ختام هذا البحث الذى وفقنى الله تعالى إلى إكماله على هذه الصورة التى أرجو أن يرزقه الله بها القبول، وأن يتجاوز عما بدر فيه من نقص وخلل غير مقصود، والكمال غاية لا تدرك، والحمد لله أولا وآخراً على ما أنعم وتفضل.

ويمكننا فى ختام هذا البحث أن نستخلص النتائج التالية:

١ـ اشتمل القرآن الكريم على أسس الدعوة وقواعدها، كما بين أحسن السبل فى الدعوة إلى دين الله تعالى.

٢ـ انتظم قصص الأنبياء معالم الدعوة ورسم خطوطها العريضة، فكانت دعوة الرسل تبدأ فى مرحلة الجهر بكبار القوم، وهم الذين سماهم القر آن الكريم «الملأ» وهذا نجده واضحاً فى عرض أسس الدعوة فى القصص القرآنى، وكانوا يواجهون دعوات الرسل بالصد والإنكار.

٣ـ القصة فى القرآن الكريم لا تتحدث إلا عن أمور وقعت بالفعل، وهى أسلوب تربوى من أساليب الإسلام يحمل بين طياته وجوانبه العظة والعبرة بما فيه من تبشير وتحذير ووعد ووعيد، وأمر ونهى، إلى غير ذلك.

٤ـ من أغراض القصة فى القرآن الكريم: بيان أن الله تعالى ينصر أنبياءه فى النهاية ويهلك المكذبين وفى ذلك تثبيت للرسول ـ ﷺ ـ وتأثير فى نفوس من

يدعوهم إلى الإيمان

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[1].

٥ـ اقتضت حكمة الله تعالى أن ترد القصة فى القرآن الكريم مفرقة الأجزاء فى مواضع لتكون كل عبرة بجوار خبرها فى القصة.

٦ـ الدعوة إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة هى الأساس الأول الذى قامت عليه كل الدعوات التى بعث الله بها الرسل الكرام من لدن نوح ـ عليه السلام ـ وإلى خاتم أنبياء الله وصفوة خلقه محمد بن عبد الله ـ ﷺ ـ قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[2].

وقال تعالى:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[3]

٧ـ الأمة الإسلامية مكلفة بالدعوة الإسلامية، فيجب على كل مكلف ذكراً كان أو أنثى أن يدعو إلى دين الله تعالى، فلا تختص الدعوة بالعلماء وحدهم، وإنما تجب على كل قادر، ويختص العلماء بتبليغ تفاصيل الدين وأحكامه ومعانيه

---

(١) سورة هود عليه السلام، الآية: ١٢٠.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

نظراً لسعة علمهم به، ومعرفتهم بجزئياته، ومما يدل على وجوب الدعوة على كل مكلف قول الحق ـ جل شأنه ـ:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[1].

٨ ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وظيفة الأمة الإسلامية، قال ـ جل شأنه ـ

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[2].

روى أبو سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[3].

كما أجمعت الأمة الإسلامية سلفاً وخلفاً على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر استناداً إلى ما ورد من آيات كريمة فى كتاب الله تعالى، وإلى ما جا فيه من أحاديث رسولنا الكريم ـ ﷺ ـ وهو من أعظم واجبات الشريعة، وأصل عظيم من أصولها، وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها.

٩ـ العدة التى يستعين بها الداعى المسلم تتمثل فى أن يعلم قبل أن يعمل امتثالاً لأمر الله تعالى فى القرآن الكريم، وطاعة لرسوله الكريم ـ ﷺ ـ فى أحاديثه الكثيرة التى حملتها إلينا السنة المشرفة، قال تعالى:

---

(١) سورة يوسف عليه السلام، الآية: ١٠٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه برقم (٤٩) وأبو داود برقم (١١٤٠) والترمذى برقم (٢١٧٣) وغيرهم.

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[1].

فبدأ بالعلم، وثنى بالعمل، ورأس العلم معرفة الله تعالى وتوحيده، والخطاب وإن كان للرسول ـ ﷺ ـ فهو متناول لأمته.

١٠ـ الإيمان العميق بالله تعالى مما يعين الداعى على أداء مهمته، ويورثه محبة الله تعالى؛ لأن من عرف ربه أحبه.

١١ـ الداعى إلى الله تعالى، يجب عليه أن يتحلى بالصفات الآتية:

أولا ـ الصدق: وهو خلق إسلامى فاضل دعا إليه القرآن الكريم والسنة المشرفة.

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[2].

فإذا التزم الداعى بهذا الخلق فإنه يقوده إلى النجاح فى الدنيا، والفوز بجنة عرضها السموات والأرض.

والصدق يهدى إلى البر وإلى الجنة كما ورد فى الحديث الصحيح[3].

ثانيا ـ الصبر من أبرز الصفات التى يحتاجها الداعى، وهو من الأخلاق التى حملتها إلينا آيات القرآن الكريم وأحاديث المصطفى ـ ﷺ ـ.

فلا يتحقق نجاح فى الدنيا إلا بالصبر، وإذا كان الصبر ضرورة لازمة لأهل الإيمان، فهو أكثر لزوماً للدعاة إلى الله تعالى، لأنهم يقومون بمهمة الرسل الكرام ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ ويقع عليهم النصيب الأكبر فى المحافظة

---

(١) سورة القتال، الآية: ١٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

(٣) الحديث تقدم ذكره كاملاً فى ص ٢٣٣ من هذا الكتاب، وهو فى الصحيحين.

على عقائد الأمة الإسلامية، والمحافظة على شعائر الأمة وأخلاقها وأعمالها، ولهم فى رسول الله ـ ﷺ ـ أسوة حسنة فى صبره وتحمله المشاق فى سبيل نشر الإسلام.

ثالثا ـ الرحمة: صفة ضرورية لمن يريد النجاح فى الدعوة إلى الله جل شأنه، وهى أخلاق رسولنا الكريم ـ ﷺ ـ ولقد خاطبه ربه تعالى بقوله:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1]

فالرحمة من الأخلاق التى يجب أن يتزين بها الداعى إلى دين الله تعالى؛ لأن الداعى المحروم من الرحمة الغليظ القلب لا ينجح فى عمله، ولا يقبل عليه الناس وإن كان ما يقوله حقّـاً وصدقاً.

ولقد وجه الرسول الكريم ـ ﷺ ـ أصحابه إلى الرحمة بإخوانهم المؤمنين، ونهاهم عما يؤدى إلى المشقة والعنت حتى فى أداء العبادة، فقد ورد فى الصحيح: « يا أيها الناس إنّ منكم منفرين فأيكم أم بالناس فليوجز[2] فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة»[3].

وما دام الداعى المسلم يعامل من يدعوهم إلى الله ـ جل شأنه ـ بالرحمة والشفقة عليهم، ويصفح عما يبدر عنهم، وشعاره قول البارى ـ جل ثناؤه ـ:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) وفى صحيح البخارى ج١٠ ص ٤٣٠ «فليتجوز» أى: فليخفف مع إتمام الأركان والسنن.

(٣) متفق عليه أخرجه الإمام البخارى ج ١٠ ص ٤٣٠. ومسلم حديث رقم (٤٦٦) وأحمد فى مسنده ج ٤ ص ١١٨، ١١٩.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

فإن النجاح سيكون حليفه، والتوفيق رائده، والناس يلتفون حوله.

رابعاً ـ التواضع:

فالداعى الحق يتواضع لمن يدعوهم إلى الله تعالى؛ لأنه بعيد الغرور والعجب، وإن ما يقوم به من الدعوة هو محض فضل من الله تعالى، ويحتاج فى عمله هذا إلى مجالسة الفقراء والمساكين؛ لأنه يفقه قول الحق تعالى لرسوله الكريم ـ ﷺ ـ:

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾(١).

هذا بعض ما تيسر لى أن أذكره فى ختام هذا الكتاب، آملاً من المولى تعالى أن يرزقه القبول، وأن يتجاوز عما وقع فيه من خطأ غير مقصود، وأستغفر الله تعالى منه، كما أسأله تعالى أن يجعله فى ميزان حسناتى، ومن الصدقات الجارية التى تلحقنى بعد رحيلى من هذه الدنيا إلى دار الخلود مع من رضى الله عنهم من عباده المؤمنين، إنه ولى ذلك والقادر عليه وحده.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، اللهم صل على سيدنا محمد كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون.

* * *

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

المراجع الأساسية مرتبة حسب ورودها فى الكتاب

١ ـ الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها.. د. أحمد أحمد غلوش، دار الكتاب المصرى/ بيروت.

٢ ـ صفوة التفاسير، محمد على الصابونى، طبعة الشئون الدينية بقطر ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣ ـ معجم مقاييس اللغة، لابن فارس.

٤ ـ زاد المسير فى علم التفسير، لابن الجوزى، المكتب الإسلامى ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م ط ٤.

٥ ـ لسان العرب لمحمد مكرم بن منظور، تصوير، دار صادر للطباعة والنشر ببيروت عام ١٣٨٨ هـ.

٦ ـ المصباح المنير، أحمد محمد على الفيومى، مكتبة لبنان، سنة ١٩٨٧م.

٧ ـ مفتاح دار السعادة، الإمام ابن قيم الجوزية، تصوير: دار الفكر، بدمشق عام ١٤٠٢ هـ.

٨ ـ الدعاة إلى الله فى القرآن الكريم ومناهجهم، الدكتور / محمد طلعت أبو صير كلية أصول الدين بجامعة الأزهر سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٦٧م.

٩ ـ مفاتيح الغيب: أو (التفسير الكبير) : لأبى عبد الله محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازى، المطبعة البهية المصرية بالقاهرة الناشر دار الكتب العلمية/ طهران.

١٠ ـ فتح البارى شرح صحيح البخارى: للحافظ أحمد بن على بن حجر

العسقلانى، المطبعة السلفية، القاهرة.

١١ ـ فصول فى الدعوة الإسلامية، د. حسن عيسى عبد الظاهر، نشر دار الثقافة بقطر، سنة ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٥م الطبعة الأولى.

١٢ ـ من روائع الأدب النبوى، الدكتور/ كامل سلامة الدقس، دار الشروق جدة طبعة ثانية ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦م.

١٣ ـ عمدة القارى شرح صحيح البخارى: محمود أحمد العينى، دار الفكر/ بيروت.

١٤ ـ سنن أبى داود: للحافظ أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى. دار إحياء السنةالنبوية.

١٥ ـ شرح النووى على صحيح مسلم، المطبعة المصرية ومكتبتها، القاهرة.

١٦ ـ صحيح مسلم: للإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيرى. طبعة دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى.

١٧ ـ مسند الإمام أحمد: للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى المكتب الإسلامى للطباعة والنشر.

١٨ ـ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطى؛ بيروت مؤسسة الرسالة.

١٩ ـ سنن النسائى: (ومعه شرح السيوطى وحاشية السندى) للحافظ أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى. المطبعة المصرية بالأزهر.

٢٠ ـ تفسير الطبرى: جامع البيان عن تأويل آى القرآن ـ لأبى جعفر بن جرير الطبرى، تحقيق محمود شاكر، سلسلة (تراث الإسلام) دار المعارف بمصر.

٢١ ـ تفسير ابن كثير القرشى: عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تعليق عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م مكتبة النهضة الحديثة بمصر.

٢٢ ـ أسباب النزول: لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى. مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، الطبعة الأولى عام ١٣٧٩ هـ.

٢٣ ـ مختار الصحاح: محمد بن أبى بكر الرازى. تصوير، دار الفكر عام ١٤٠١ هـ.

٢٤ ـ معالم الدعوة فى قصص القرآن الكريم، عبد الوهاب بن لطف الديلمى، دار المجتمع، ط ١، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م.

٢٥ ـ القصة العربية القديمة، طبعة المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، محمد مفيد الشوباشى.

٢٦ ـ النصوص الأدبية: الأستاذ كامل درويش، طبعة مكتبة بيروت، بدون تاريخ.

٢٧ ـ القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه، الأستاذ عبد الحكيم الخطيب، طبعة السنة المحمدية، الأولى سنة ١٣٨٤ هـ.

٢٨ ـ التصوير الفنى فى القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط ٦، عام ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.

٢٩ ـ البرهان فى علوم القرآن للزركشى، طبعة عيسى الحلبى، الأولى عام ١٩٢٧م.

٣٠ ـ التاريخ الكبير للبخارى، الإمام محمد إسماعيل البخارى، دار المعارف بالهند، بدون تاريخ.

٣١ ـ الروض الأنف، للسهيلى، طبعة دار النصر بالقاهرة.

٣٢ ـ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، طبعة المحتسب.

٣٣ ـ تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل فى معانى التنزيل) للإمام علاء الدين، أبى الحسن، على بن محمد بن إبراهيم، المشهور بالخازن، ط مصطفى الحلبى الثانية ١٩٥٥م.

٣٤ ـ روح المعانى: للإمام محمود الألوسى: طبعة المنيرية، بيروت/ لبنان.

٣٥ ـ تاريخ ابن خلدون: مؤسسة جمال للطباعة والنشر/ بيروت.

٣٦ ـ فى رحاب الكون، الدكتور عبد الحليم محمود، طبعة دار العلوم للطباعة.

٣٧ ـ مقدمة ابن خلدون، طبعة الشعب.

٣٨ ـ تفسير التحرير والتنوير، الشيخ الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس عام ١٩٨٤م.

٣٩ ـ تفسير المنار، الشيخ محمد رشيد رضا، طبعة حجازى الرابعة سنة ١٩٥٩م.

٤٠ ـ تفسير النسفى: الإمام النسفى، طبعة محمد على صبيح.

٤١ ـ حاشية الجمل على الجلالين، طبعة عيسى الحلبى.

٤٢ ـ صفوة البيان لمعانى القرآن، للشيخ حسنين محمد مخلوف. طبعة دار الكتاب العربى الأولى سنة ١٩٥٦.

٤٣ ـ تفسير القاسمى (محاسن التأويل) الشيخ محمد جمال الدين القاسمى، مطبعة عيسى الحلبى.

٤٤ ـ فى ظلال القرآن، سيد قطب، مطبعة دار الشروق سنة ١٩٨٢م.

٤٥ ـ البحر المحيط لأبى حيان، طبعة النصر الحديثة بالرياض.

٤٦ ـ سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى، طبعة السلفية، عبد الملك حسين المكى.

٤٧ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابورى، مطبوع بهامش تفسير ابن جرير الطبرى المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق.

٤٨ ـ تفسير روح البيان، للشيخ إسماعيل حقى، الطبعة العثمانية، سنة ١٣٣١ هـ.

٤٩ ـ تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) طبعة دار الكاتب العربى.

٥٠ ـ الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج ١ ص ٨٥ طبعة بيروت.

٥١ ـ قصص الأنبياء لابن كثير، دار صادر للتأليف والنشر، طبعة أولى عام ١٩٦٨م.

٥٢ ـ من نبأ المرسلين (هود ويوسف عليهما السلام) د/ حسن عيسى عبد الظاهر، نشر دار الثقافة الدوحة، طبعة أولى ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٤م.

٥٣ ـ سفر التكوين: الإصحاح العاشر ٢٧؛ أخبار الأيام الأول، الإصحاح الأول ٢١ الإكليل ١٦٢/٨ المفصل ج ١ ص ٣٠٠.

٥٤ ـ المفصل من تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور: جواد على، طبعة دار العلم للملايين / بيروت ومكتبة النهضة / بغداد.

٥٥ ـ التاريخ الجغرافى للقرآن: سيد مظفر الدين نادئى، ترجمة د/ عبد الشافى غنيم نشر لجنة البيان العربى.

٥٦ ـ الإسلام فى عصر العلم: الدكتور/ محمد أحمد الغمراوى، نشر دار الكتب الحديثة بمصر.

٥٧ ـ عصر ما قبل الإسلام: محمد مبروك نافع.

٥٨ ـ دراسات تاريخية من القرآن الكريم: الدكتور/ محمد بيومى مهران. طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ الرياض عام ١٤٠٤هـ.

٥٩ ـ تاريخ الطبرى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار المعارف بمصر.

٦٠ ـ المفردات فى غريب القرآن: لأبى القاسم الحسين بن محمد، والمعروف بالراغب الأصفهانى ت ٥٠٢ هـ، طبعة دار المعرفة، بيروت.

٦١ـ المعجم الوسيط: عمل مجمع اللغة العربية بمصر.

٦٢ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر: للمسعودى، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة ـ بيروت.

٦٣ ـ صفة جزيرة العرب: الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى، تحقيق محمد ابن على الأكوع الحوالى، طبع بإشراف: حمد الجاسر، دار اليمامة بالرياض.

٦٤ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى، طبعة دار المعارف / بيروت.

٦٥ ـ التنبيه والإشراف: لأبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى: طبعة دار مكتبة الهلال/ بيروت.

٦٦ ـ المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، لأبى محمد عبد الحق بن عطية الأندلسى الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ الدوحة/ قطر.

٦٧ ـ معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، مطبعة دار الفكر العربى، محمد إسماعيل

إبراهيم.

٦٨ ـ تفسير المراغى، الشيخ أحمد مصطفى، مطبعة مصطفى الحلبى، الرابعة عام ١٩٦٩م.

٦٩ ـ السراج المنير، الشيخ الخطيب الشربينى، دار المعرفة، الطبعة الثانية، بيروت.

٧٠ ـ مجمع البيان فى تفسير القرآن، الشيخ أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى، طبعة بيروت.

٧١ ـ أصول الدعوة: تأليف الدكتور عبد الحكيم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.

٧٢ ـ درء تعارض العقل والنقل: لابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: الدكتور/ أحمد رشاد سالم. طبع على نفقة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، عام ١٤٠١ هـ.

٧٣ ـ سنن ابن ماجه: للحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى، طبعة دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر.

٧٤ ـ سنن الدارمى: للحافظ أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمى الناشر: دار إحياء السنة النبوية.

٧٥ ـ أحكام القرآن للجصاص، المطبعة المصرية ١٣٤٧ هـ.

٧٦ ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر: ألفه بالأردية: السيد جلال الدين العمرى، نقله إلى العربية محمد أجمل أيوب الإصلاحى، شركة الشعاع للنشر، الكويت.

٧٧ ـ حاشية الصاوى على تفسير الجلالين، المطبعة الأزهرية بمصر عام ١٣٤٧

هـ تأليف العلامة الشيخ أحمد الصاوى ـ رحمه الله تعالى.

٧٨ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مطبع أحمدى، بدلهى، عام ١٢٦٨ هـ تأليف الإمام ناصر الدين عبد الله البيضاوى.

٧٩ ـ ديوان الهذليين.

٨٠ ـ الحسبة فى الإسلام «ضمن ـ مجموع رسائل، المطبعة الحسينية بمصر عام ١٣٢٣ هـ تأليف الإمام تقى الدين أبى العباس أحمد بن تيمية الحرانى.

٨١ ـ الإحكام فى أصول الأحكام، تأليف سيف الدين أبى الحسن على بن أبى على بن محمد الآمدى مطبعة المعارف بمصر عام ١٣٣٢ هـ.

٨٢ ـ رسائل العبودية ضمن (مجموع رسائل) ابن جرير: أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى.

٨٣ ـ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، عام ١٣٥٢ هـ.

٨٤ ـ الفائق فى غريب الحديث للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشرى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلى محمد البجاوى، دار المعرفة بيروت، الطبعةالثانية.

٨٥ ـ إحياء علوم الدين، للإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى، دار الكتب العربية الكبرى بمصر ١٤٤٣ هـ.

٨٦ ـ الفصل فى الملل والأهواء والنحل، تأليف: أبى محمد على بن أحمد بن حزم.

٨٧ ـ مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: الإمام تقى الدين أبو العباس أحمد

ابن تيمية الحرانى، مطبعة كردستان العلمية بمصر عام ١٣٢٦ هـ.

٨٨ ـ الرسول والعلم، الدكتور يوسف القرضاوى، دار الصحوة، بمصر.

٨٩ ـ سيرة عمر بن العزيز، تأليف عبد الله بن الحكم، دار المعرفة، بيروت.

٩٠ ـ البداية والنهاية، لابن كثير ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧م.

٩١ ـ جامع بيان العلم وفضله: لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، مطبعة المدنى ـ القاهرة، الطبعة الثانية، عام ١٣٨٨ هـ.

٩٢ ـ سبل السلام، شرح بلوغ المرام، من جمع أدلة الأحكام، للشيخ الإمام محمد ابن اسماعيل الأمير الصنعانى المتوفى سنة ١١٨٢ هـ تصحيح وتخريج، فواز أحمد زمرلى، وإبراهيم محمد الجمل، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م.

٩٣ ـ المدخل لدراسة السنة النبوية: الدكتور/ يوسف القرضاوى، الناشر مكتبة المدارس الدوحة ـ قطر، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م.

٩٤ ـ بحوث فى أصول التفسير، الدكتور محمد بن لطفى الصباغ، المكتب الإسلامى، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م.

٩٥ ـ موطأ الإمام مالك تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.

٩٦ ـ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لأبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية. دار الكتاب العربى، تحقيق: محمد حامد الفقى، طبع عام ١٣٩٢ هـ.

٩٧ ـ خلق المسلم: الشيخ محمد الغزالى، دار القلم، دمشق، الطبعة الثامنة سنة

١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م.

٩٨ ـ تذكرة الدعاة، البهى الخولى، دار الفكر العربى بيروت/ لبنان.

٩٩ ـ الصبر فى القرآن الكريم: الدكتور يوسف القرضاوى، الناشر: مكتبة وهبة الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٥م.

١٠٠ ـ قوت القلوب، أبو طالب المكى، دار المعرفة بيروت.

١٠١ ـ فقه السيرة، الدكتور/ محمد سعيد رمضان البوطى، دار الفكر، الطبعة السادسة ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م.

١٠٢ ـ كتاب الأمثال فى الحديث النبوى ـ ص ـ تأليف أبى محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبى الشيخ الأصفهانى المتوفى سنة ٣٦٩ هـ تحقيق الدكتور/ عبد العلى عبد الحميد طبع الدار السلفية، بالهند، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م

١٠٣ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين على بن أبى بكر الهيثمى. دار العربى، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٩٦٧م

١٠٤ ـ فيض القدير فى شرح الجامع الصغير للسيوطى: لعبد الرؤوف المناوى . دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٣٩١ هـ.

* * *